الدلالات التاريخية

فـــــي

الأحاديث النبويـة

دراسة للإعجاز التاريخي في احاديث النبي

صَلى الله عليه وسلم

تأليف

عدنـان أحمـد ياسين الفـلاحي

١٤٤٣ هـ الطبعة الأولى ٢٠٢١ م

الدلالات التاريخية

في

الأحاديث النبوية

دراسة للإعجاز التاريخي في احاديث النبي

صَلى الله عليه وسلم

الإهداء

الى

كل من يشتري رؤية النبي ﷺ بأهله وماله ...

الى

كل من ينتظر اللقاء على حوض الحبيب ...

الى

كل من يحس بظمأ لا يرويه الا رؤية النبي ﷺ

الى كل احبابه

أهدي كتابي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين .. الرحمن الرحيم .. مالك يوم الدين ، كما يحب ربنا ويرضى وينبغي له ، حمداً يفضل سائر المحامد كفضل ربنا على جميع خلقه .

وأصلي وأسلم في مفتتح كلامي ومنتهاه على حضرة سيدي ومولاي رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. صلاة وسلام تليق بكرم الله ، وفضله تعالى وجميل عطاياه .

وبعد

كل ما في النبي ﷺ معجزة ، أخلاقه ، أفعاله ، عباداته ، أقواله .. كلها مملوءة إعجازاً يحار العقل في إدراك كماله اللا متناهي ... إنها شاهدة على اللطف الإلهي الذي خص الله سبحانه وتعالى به حبيبه .

وكلام سيد الخلائق ومصطفى الرحمن من خَلْقِه معجزة في اللغة لا يعلوها إلا القرآن .

فصلّى الله على نبيه الأميّ الذي أعجزت علومه الأولين والآخرين ، النبي الذي أوتي جوامع الكلم وما ينطق عن الهوى علمّه شديد القوى.

النبي الذي فاضت أحاديثه إعجازا وجمالا فأدهشت العقول بعلمها و أخذت مجامع القلوب بلغتها .

فكل كلمة ،كل مفردة في حديث النبي صلى الله عليه واله وسلم تم اختيارها بعناية ودقة عجيبة ورتبت بأسلوب بلاغي لم يبلغه أي مبدع أو أديب في زمن النبي ﷺ أو ما تبع .

وبعض الأحاديث الشريفة تناولت بمضامينها إخباراً بأحداثٍ ستقع ، وقد صَدَقَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم فيما تنبأ بوقوعه ، كما صَدَقَ فيما سواه ، فطابقت أحاديثه صلّى الله عليه وسلم أحداثاً وقعت في حياته ، أو أخباراً ماثلت أحداثاً ووقائع جاءت بعد عصر النبي ﷺ بقرون .

وفي هذا الموجز تشخيصٌ وحصرٌ ، ومحاولة لتأشير جزءِ من احاديثٍ نبوية عن احداث تحققت فكانت معجزة وعلمٌ من ذي علم .

وقد اسميتها دلالات تاريخية تضمنتها أحاديث النبي صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم .

وهذه الاحاديث الشريفة وما احتوته من إخبار وتأشير لأحداث تحقق قسم منها في زمنه صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم ، ومنها ما تحقق بعد وفاته ، ومنها ما ننتظر ان يتحقق ان شاء الله تعالى .

وأنا أعلم يقيناً ان إسقاط بعض الأحاديث النبوية التي تتحدث عن أمور غيبية ستحدث في زمن مستقبلي ، على زمن معين أو حدث معين بذاته ، لا يتأكد إلا بعد وقوعها حتماً أو مشاهدتها عياناً .

والأمر لا يعدو أن يكون اجتهاداً مبنياً على محاولة فهم روح الحديث النبوي ، ومتابعة الأحداث مستعيناً بمشاهدات معينة او نقولات موثوقة على ضوء الاحتمالات الواردة في سياق حركة الأحداث واقترابها من روح الحديث .

ولا يمكن ان يكون علماً يقينياً إلا بعد وقوع الحوادث او مشاهدتها .

كما أعلم ان تأشير ، ومحاولة حصر الأحاديث التي تحمل دلالات تاريخية كانت تستلزم المرور على أغلب أحاديث رسول الله ﷺ والموزعة في كتب الصحاح والمسانيد وقراءتها بشكل متأنٍ وبتركيز وحضور قلب ، ثم السعي بعد ذلك لمحاولة معرفة درجة الحديث وصحته .

وذاك لا يتم إلا بتوفيق وفضل من الله سبحانه وتعالى .

لقد احتاج مني هذا البحث في كتب الحديث سنوات طوال قضيتها في رحاب الأحاديث النبوية الشريفة ، وكنت خلال هذه الفترة أنشر ما أتوصل اليه على صفحات مجلات مختصة كان أبرزها مجلة التربية الإسلامية العراقية التي نشرت

تلك البحوث وبشكل متسلسل ، ثمَّ ، توجهت الهمّة بعد التوكل على الله سبحانه أن أجمعها بكتاب ، عسى أن يكون النفع منها أكثر ...

والله المستعان وهو الموفق للخيرات .

عدنان احمد ياسين الفلاحي الحسني

بغداد

رمضان ١٤٤٢ للهجرة

أحاديث تحققت في حياته

صلى الله عليه وآله وسلم

۞ أسر أكيدر

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ﵁ بجمع من فرسان المسلمين من تبوك ، والنبي ﷺ وجيش المسلمين كانوا بأرض تبوك في آخر غزوة غزاها عليه الصلاة والسلام ، وقال لخالد انك ستجد أكيدر ملك دومة الجندل يصيد البقر فخذ سرية من المسلمين وأت به .

وتحير خالد من ذلك ، فكيف يخرج ملك دومة الجندل من قصره وقلاعه الحصينة ليصيد البقر الوحشي وهو يعلم ان جيش المسلمين على مشارف مدينته وهو في حالة عداء وحرب معهم ...؟

ويسير خالد هو وتساؤلاته واستغرابه .

لكن الأمر جاء من رسول الله الذي لا ينطق الا حقاً وصدقا .

ويمضى خالد حتى إذا كان من حصن أكيدر بمبصر العين في ليلة مقمرة أقام منتظراً هو وفرسانه بين الأشجار، فجاءت بقر الوحش واقتربت من القصر حتى حكت قرونها ببابه ، وكأنها تستفز أكيدر او تناديه .

خرج أكيدر في جماعة من خاصته يطلبون البقر فهي قريبة من القصر واغرت بقربها أكيدر للخروج لإمساكها،

لكن الأبقار ابتعدت ، فتبعها اكيدر وجنده ،

ويشاء الله ان تقود البقر أكيدر ومن معه الى مكمن خالد وفرسانه . فيتلقاهم جند رسول الله ﷺ ، يأسرون أكيدر ويأتون به إلى الرسول ﷺ أسيراً ،وخالد متعجب مما يرى ، لكنه كان يعلم انها ارادة الله الذي يسخر ما يشاء لنصرة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى .

ويحقن ﷺ دم أكيدر ويصالحه على الجزية [1]

ودومة الجندل أسم محل وهي كما جاء في السيرة النبوية لأبن هشام موضع معروف بمشارق الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ويبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة . و أكيدر هو أكيدر بن عبد الملك الكندي .

وقد قال في ذلك بجير بن بجرة وهو رجل من طيء يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد انك ستجده يصيد البقر (وذلك مستحيل في وقت الحرب)، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى أخرجته لتصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم :

[1] – (بتصرف) انظر : سبل السلام ٦٦/٤ . ودلائل النبوة للأصبهاني ١٤٤/١ برقم ١٥٧ .

تبارك سائق البقرات   إني رأيت الله يهدي كل هاد

فمن يك حائداً من ذي تبوك   فإنا قد أمِرنا بالجهاد

فتبارك الذي أرسل الأبقار تُخرج أكيدر المتحصن بقلاعه وقصره وقت الحرب ، تخرجه ليصيده المسلمون تصديقاً لما قاله النبي صلى الله عليه واله وسلم .

۞ أماكن قتل المشركين

عن أنس بن مالك ﵁ غداة بدر حين اقبل جيش المشركين إن رسول الله ﷺ قال : هذا ﴿﴿ مصرع فلان ﴾﴾ ويضع يده على الأرض ﴿﴿هاهنا وهاهنا﴾﴾

قال فما ماط احدهم عن موضع يد رسول الله .[1]

وتحدّث الأخبار أن ما تجاوز أحدهم مكان مصرعه الذي حدده النبي ﷺ ، وما نجا احد قال النبي ﷺ انه سيصرع . ..قُتل كل من قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سيموت في المعركة ، وفي المكان الذي أشّر عليه رسول وقال انه سيُقتل فيه .

---

[1] – مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة بدر ١٤٠٤/٣ برقم ١٧٧٩ .
وصحيح ابن حبان ٢٥/١١ برقم ٤٧٢٢ .

۞ إستشهاد قادة مؤتة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمّر في غزوة مؤتة زيد بن حارثة

على الجيش وعقد له لواء ابيض ، دفعه إلى زيد .[1]

وقال عليه الصلاة ة والسلام :﴿﴿ إن قتل زيد ، فجعفر، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحه ﴾﴾[2]

وسار الجيش وودعهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والمسلمون وكان بالجيش ثلاثة آلاف مقاتل ، ولما وصل الجيش الإسلامي إلى معان (وهي ضمن الأردن حاليا) بلغهم أن الروم قد حشدوا مائة ألف مقاتل وانضم إليهم مائة ألف صليبي من قبائل لخم وجدام وبهراء وبلى ، فصار الجمع مائتي ألف مقاتل مزودين بالسلاح الكافي .

---

[1] – مختصر سيرة الرسول ص٣٢٧

[2] – البخاري كتاب المغازي غزوة مؤتة من أرض الشام ١٥٥٤/٤ برقم ٤٠١٣ ، والمستدرك على الصحيحين في المغازي والسرايا ٤٢/٣ برقم ٤٣٤٨ ، وصحيح ابن حبان ٤٥/١١ برقم ٤٧٤١

(فلما بلغوا معان من أرض الشام، أتاهم الخبر: أن هرقل ملك الروم قد نزل أرض بني مآب، وهي أرض بني مآب المذكورين في كتب بني إسرائيل، وهي أرض البلقاء – : في مائة ألف من الروم ، ومائة ألف أخرى من نصارى أهل الشام من لخم، وجذام، وقبائل قضاعة: من بهرام وبلى وبلقين، وعليهم رجل من بني إراشة من بلى، يقال له: مالك بن راقلة)[1]

ولم يتصور الثلاثة آلاف من المسلمين أن يلاقوا مثل هذا الجيش الهائل ، سيل من المقاتلين مزودين بالسلاح ويرفلون بالحرير وبالذهب لينبهر المسلمون بهم وبقوتهم (فعن أبي هريرة ﷺ قال شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأيت ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن أقرم: كأنك ترى جموعا كثيرة قلت نعم ، قال انك لم تشهد بدرا ،إنا لم ننصر بالكثرة) [2]

وكان موقفا صعبا ولقاءا مستحيلا فليست هناك أي نسبة بين الجيشين ، وبعد التدارس فرض الرأي القائل بالقتال فإما نصر وهو خير وإما شهادة وهي خيرين ، فرض نفسه وبدا أن الجميع متوجهون بحزم إلى خوض المعركة .

---

[1] جوامع السيرة ١ / ٢٢١

[2] – البداية والنهاية ٤١٨/٦

والتقى الجيشان لقاء لم تشهد الدنيا مثله جيش صغير بعدته كبير بإيمانه، وجيش كأنه بحر من المقاتلين تعينهم الأسلحة وتحيطهم سمعتهم كأعظم جيش لأكبر إمبراطورية في الأرض ،ويفعل المسلمون ما لا يصدق وما يفوق العقل، يتسابقون إلى الشهادة يقاتلون بضراوة يسطرون ملاحم فكان كل واحد منهم جيشا وملحمة وعنوان بطولة تستحق أن تخلّد فليس على الأرض جيش بهذا العدد يقارع هذا الموج المتلاطم من المقاتلين ، إن مجرد اشتراك هذه السرية بالمعركة بتلك الظروف شجاعة نادرة ، أما ما سطروه فيها من ملاحم فمواقف تستحق أن يقف التأريخ لها إجلالا

ويشرّف الله سبحانه وتعالى في هذه المعركة قادة الجيش بالشهادة ويخصّهم بلقائه .

وكان استشهادهم ﵃ كما رتب النبي صلى الله عليه واله وسلم أسمائهم ، لم يسبق احدهم ترتيب النبي صلى الله عليه واله وسلم ، ولا تأخر .

وقد ظهرت معجزة للنبي صلى الله عليه واله وسلم حول هذه السرية حيث انه صلى الله عليه واله وسلم أخبر المسلمين حوله بتفاصيل المعركة ونعى إليهم زيد وجعفر وعبد الله وعيناه تذرفان وسمى خالد سيف الله وبشّر بالفتح على يديه ، وحين قدم عليهم من يخبرهم بتفاصيل المعركة لم يزد على ما أخبر به رسول الله

صلى الله عليه واله وسلم من أحداثها ، (فعن أنس ﵁ أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال : أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم) [1]

[1] – البخاري باب غزوة زيد بن حارثة ٤/١٥٥٥ برقم ٤٠١٤

۞ مقتل امية بن خلف

﴿ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انطلق سعد بن معاذ رضي الله عنه معتمرا فنزل على صفوان بن أمية بن خلف وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال من هذا يطوف بالكعبة آمنا قال سعد أنا سعد فقال أبو جهل تطوف بالكعبة أمنا وقد آويتم مُحَمَّدا صلى الله عليه و سلم فتلاحيا فقال أمية لسعد لا ترفعن صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي فقال له سعد والله ان منعتني ان أطوف بالبيت لأقطعن إليك متجرك إلى الشام فجعل أمية يقول لا ترفعن صوتك على أبي الحكم وجعل يمسكه فغضب سعد فقال دعنا منك فإني سمعت مُحَمَّدا يزعم انه قاتلك قال إياي قال نعم قال والله ما يكذب مُحَمَّد فلما خرجوا رجع إلى امرأته فقال أما علمت ما قال لي اليثربي فأخبرها به فلما جاء الصريخ وخرجوا إلى بدر قالت امرأته أما تذكر ما قال أخوك اليثربي فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهل انك من أشراف الوادي فسر معنا يوما أو يومين فسار معهم ،

فقتله الله عز و جل ﴾﴾ [1]

وكان في مقتل عدو الله أمية تحقيقاً لما بشّر به وانبأ رسول الله قبل وقوعه بأمدٍ

فصلى الله على نبيه الأمين الذي لا ينطق الا حقاً و صدقا .

[1] البخاري ٣ / ١٣٢٨ برقم ٣٤٣٣ ومسند الامام احمد ١ / ٤٠٠ برقم ٣٧٩٤

۞ خراب خيبر

خيبر مدينة كبيرة تبعد (١٧١) كيلو مترا شمالي المدينة وهي عبارة عن شطرين شطر به خمسة حصون ، الحصون الثلاثة الأولى منها تقع في منطقة يقال لها (النطاة) والحصنان الآخران يقعان في منطقة تسمى (الشق) ، والشطر الآخر فيه ثلاثة حصون ويدعى الكتيبة ، وهذه الحصون منيعة وقسم منها على مرتفعات يصعب الوصول إليها ، إضافة إلى حصون أخرى وقلاع صغيرة منفصل بعضها عن بعض، ولخيبر بساتين ومزارع .

وكان دور يهود خيبر في غزوة الاحزاب مؤثراً وعلى رأسهم زعماء بني النضير الذين استعملوا اموالهم وخيرات خيبر في التجهيز والتحشيد لقتال المسلمين ثم دورهم في اقناع قريظة لغدر المسلمين وطعنهم بظهورهم مما جعل خيبر مصدر خطر على الدعوة الاسلامية وعلى المدينة مما يستلزم موقفا قويا لكف اذاها وازالة خطرها .

كما أنهم وضعوا خطة أفشلها الله سبحانه وتعالى لاغتيال النبي صلى الله عليه واله وسلم .

فصارت خيبر وكر دسّ وتآمر على الإسلام والمسلمين ، وبؤرة استفزاز وإثارة مشاكل وأخطار على الدولة الإسلامية النامية .

وبعد أن تأمّن جانب قريش ، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه فسار إليها صلى الله عليه واله وسلم في شهر محرم ، بألف وأربعمائة مقاتل .

وسار الجيش حتى صار ليلا على مقربة من خيبر فباتوا ولم تشعر بهم اليهود، وكان النبي صلى الله عليه واله وسلم إذا أتى قوما بليل لم يقربهم حتى يصبح فلما أصبح صلى الفجر بغلس ، وركب المسلمون ، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم ولا يشعرون بالمسلمين بل خرجوا لأرضهم فلما رأوا الجيش قالوا: مُحَمَّد ، والله مُحَمَّد والخميس (الجيش) ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم ، فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم

《 خربت خيبر ، الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين 》[1]

وكان الأمر كما قال النبي الصادق صلى الله عليه واله وسلم فقد احتل المسلمون خيبر رغم حصانة قلاعها وبأس مقاتليها ، وخرُبت خيبر .

---

[1] - البخاري باب غزوة خيبر ١٥٣٨/٤ برقم ٣٩٦١

۞ فتح حصون خيبر على يد الإمام علي عليه السلام

قدم رسول الله ﷺ المدينة على أثر صُلح الحديبية، ومكث بها عشرين ليلةً أو قريبًا منها، ثمَّ خرج إلى خيبر، وكان الله عزَّ وجل وَعَدَهُ إيَّاها في سورة الفتح، وقد نزلت مرجعَه من الحديبية.

ولما أشرف رسول الله ﷺ والجيش على خيبر بعد مسيرة ثلاثة أيام قال لأصحابه قفوا ثم قال :

(اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله قال وكان يقولها لكل قرية دخلها) [١]

واستُجيبت دعوة الرسول المصطفى ﷺ فكُفي بإذن الله شر خيبر ، وكُفي شر أهلها .

ولما كانت ليلة الدخول يقول سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله ﷺ قال: ((لَأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ علَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ

---

[١] رواه النسائي في اليوم والليلة (٥٥٤)، وابن السُّنِّي (٥٢٤) وعيون الأثر (١٣٤/٢)

ورَسولَه، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ ، قالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ [1] لَيْلَتَهُمْ : أيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا علَى رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعْطَاهَا، فَقالَ: أيْنَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ ؟ فقِيلَ : هو يا رَسولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، قالَ: فأرْسَلُوا إلَيْهِ. فَأُتِيَ به فَبَصَقَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في عَيْنَيْهِ ودَعَا له، فَبَرَأَ حتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ به وجَعٌ، فأعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقالَ عَلِيٌّ: يا رَسولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حتَّى يَكونُوا مِثْلَنَا؟ فَقالَ: انْفُذْ علَى رِسْلِكَ [2] حتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ [3])) [(٤)]

وقد دعاهم الإمام علي ﷺ إلى الإسلام فرفضوا وكانوا متهيئين للقتال، فقاتلهم المسلمون بضراوة، وكلما فتح الله لهم حصنا فرّ اليهود وتحصنوا بالذي

[1] يدوكون: يخوضون ويموجون، ومنه وقع الناس في دَوكة، بفتح الدال، وتضم.

[2] انفُذ على رَسْلِك: امْضِ على هَيْنَتك متَّئدًا غيرَ عَجِل، ففي الأناة سلامٌ وحكمة.

[3] حُمْرُ النَّعَم: هي الإبل الحمراء، أعزُّ أموال العرب، وأكرمُها عليهم، ومن هنا ضربوا المثل بها في نفاسة الشيء وعزَّته

(٤) البخاري باب غزوة خيبر ٤/١٥٤٢ برقم ٣٩٧٣ .

بعده، وقاتل المسلمون على ما بهم من تعب وجوع وكانوا يغنمون الذي بالحصون، ويتقدمون فيحاصروا الحصن الذي يلي أياما حتى يسقط، وهكذا تباعا، وكان في بعض الوقت قد فعل الجوع فعله بالمسلمين فيلجأون الى رسول الله ﷺ يشكون اليه الجوع.

(أتى بنى سهم من أسلم الى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله والله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئا يعطيهم إياه فقال:

اللهم إنك قد عرفت حالهم وإن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي ما أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاما وودكا (الدسم والدهن الذي مع اللحم) منه فغدا الناس ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه)[1].

وكان أول حصن فتحه الله للمسلمين من حصون خيبر كان حصن ناعم وهو خط الدفاع الأول لليهود الذي تهاوى بعد قتل ملكهم مرحب والذي كان يعادل الف مقاتل حيث كان يختال ويرتجز:

قد علمت خيبر اني مرحب　　　شاكي السلاح بطل مجرب

---

[1] السيرة لابن هشام ٢ / ٣٣٢.

إذا الحروب أقبلت تلهب

فينبري له الأسد علي بن أبي طالب فيبارزه ويقتله وهو يرتجز:

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاغ كيل السندره

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ ، حيث تحقق ما أنبأ به الصادق المصدوق من فتح الحصون على يد من يُعطى الراية .

كما ان في هذا الحديث منقبة عظيمة للإمام وكرّم الله وجهه علي عليه السلام وشهادة فخر له بأن الله تعالى يحبه وان رسول الله يحبه أيضاً ، وانه صادق في حبه لله وحبه لرسوله .

مسألتان في هذا الحدث تستوقفان الباحث ، أولاهما قول الراوي :

(فبات الناس يدوكون ليلتهم) ، بات الناس يعني: من حضر من أصحاب النبي ﷺ، يدوكون، أي: يتحدثون ويتحاورون، يفكرون ويقلبون النظر من هو هذا الذي سيُعطى هذه الراية، ليس حبًّا للرئاسة والإمارة وما أشبه هذا، فكان أصحاب النبي ﷺ إنما يطلبون ما عند الله عز وجل ، وإنما لِمَا ذُكر هنا من أنه متحقق بهذين الوصفين: أنه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كان هذا غاية ما يتمناه كلٌّ منهم ، وغاية ما يتمناه غيرهم من المسلمين .

(كلهم يرجو أن يُعطاها)، يقول: عسى أن أكون أنا ، أنا المشهود له من الله تعالى ومن رسوله ﷺ بأنه صادقٌ في حبه لله ورسوله ، فلما جاءوا وأصبحوا ، كان كلٌ منهم أحرص ما يكون على أن يراه رسول الله ﷺ، كما حصل حينما قال النبي ﷺ لوفد نجران من النصارى، حينما أخبرهم أنه سيبعث معهم أميناً، أمين هذه الأمة، يقول عمر: فما تطلعت إلى الإمارة كيومئذ ، حتى إنه ذكر أنه كان يتطاول في الصف، ليراه النبي ﷺ، كأنه متوقع أو متمني أن يقال: تعال يا عمر، فكان يتطاول من أجل أن يراه النبي ﷺ، فلا يخفى بين الناس، فكأنه يقول: ها أنا ذا جاهز أذهب إلى نجران، طالما أن المسألة فيها هذه الشهادة أنه أمين هذه الأمة .

هذه مسألة ، والأخرى :

فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرئ حتى كان كأن لم يكن به وجع ، وهذا من معجزاته ، ومن دلائل نبوته وآياته ﷺ التي أعطاه الله إياها، بصق بالعين وبرئت كما فعل ﷺ لمن سالت عينه على خده ، خرجت عينه في غزوة ، فردها ﷺ ومسحها، فعادت كأن لم يكن بها شيء ، بل حتى انها أصبحت أكحل وأجمل من أختها .

۞ الإعلام بموت النجاشي

المسافة بين المدينة المنورة حيث يعيش رسول الله والمسلمون وبين الحبشة مسافة طويلة تتخللها صحارى قاحلة ممتدة وبحر متلاطم .

ورغم هذا البعد وهذه المسافة الطويلة فإن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يخبر اصحابه بموت النجاشي حاكم الحبشة في نفس اليوم الذي توفي فيه .

(عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ﵁ انه قال :

﴿﴿ نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج الى المصلى وصفَّ اصحابه خلفه وكبر عليه اربعاً ﴾﴾ [1]

[1] البخاري ١ / ٤٢٠ برقم ١١٨٨ ومسند الامام احمد ٢ / ٤٢٨ برقم ٩٦٤٤

۞ الأمان في بادية العرب

من حديث خباب بن الأرت قال :

﴿﴿ أتيت النبي وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة .

فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله ؟

فقعد وهو محمر وجهه فقال وهو محمر وجهه :

لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ... ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه .

وليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله والذئب على غنمه ﴾﴾[1]

---

[1] صحيح البخاري ٣ / ١٣٩٨ برقم ٣٦٣٩ و صحيح بن حبان ٧ / ١٥٦ برقم ٢٨٩٧ بلفظ (ان من كان قبلكم ليسأل عن الكلمة فلا يعطيها فيوضع المنشار عليه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وان كان احدهم ليمشط ما دون عظامه من لحم او عصب بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولكنكم تعجلون ،وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله والذئب على غنمه)

كانت بادية العرب تعج باللصوص وقطاع الطرق فما كان الراكب يأمن على نفسه او متاعه حين يريد ان يجتاز الصحراء او ينتقل من قرية الى اخرى ، وكانت القوافل التي تحمل بضائع بين مكة والشام او اليمن تسير والحراس حولها واسلحتهم قريبة من أيديهم ... واذا اظلم عليهم الليل توزعوا حول القافلة للحراسة ...

وكثير من القبائل امتهنت السطو والقتل ونهب المال والماشية والنساء والاطفال .

في هذا الجو المملوء بالسرقة والنهب والقتل ووسط هذا الظلام والظلم وضياع الأمن والأمانة يعلن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الأمن والأمان سيسود الجزيرة وان السائر فيها سيقطعها وهو آمن على نفسه وما يحمل من مال ومتاع .

كان هذا الخبر عكس ما يسود في البادية ولا تنبئ الأحداث بوقوعه ... لكن حين يخبر بذلك رسول الله الصادق المصدوق ، فذاك ما سيقع ، ولقد وقع فعلاً

۞ النبي ﷺ يُخبر بسحر لبيد له

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

(سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ , حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا , وَدَعَا ثُمَّ قَالَ : أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي ؟ أَتَانِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ , فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ : مَطْبُوبٌ ؟ قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ . قَالَ : فِيمَا ذَا ؟ قَالَ : فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ . قَالَ فَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ . فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ : نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَقُلْتُ : اسْتَخْرَجْتَهُ ؟ فَقَالَ : لا , أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ , وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا , ثُمَّ دُفِنَتْ الْبِئْرُ) [1]

---

[1] رواه البخاري (٣٢٦٨) ومسلم (٢١٨٩) وابن ماجه (٣٥٤٥) وأحمد (٢٤٣٠٠) وابن أبي شيبة (٢٣٥١٩) والنسائي في السنن الكبرى (٧٥٦٩) وابن حبان (٦٥٨٣) والبيهقي (١٦٤٩٤)

مطبوب : مسحور .

(مُشط) : آلة تسريح الشعر .

(مشاقة) أو (مشاطة) : ما يسقط من الشعر .

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ سُحِر حتى كان يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، ولم

يؤثر هذا السحر في دعوته ﷺ، فليس في الحديث أن النبي ﷺ كان يقول شيئاً ولا يريد قوله، أو ينسب إلى الدين ما لم يأمره به الله حتى يُنكر هذا الحديث، ولم يستمر هذا

السحر طويلا بالنبي ﷺ، فقد دعا النبي ربه كثيرا حتى شفاه .

ثم أن النبي ﷺ هداه الله وأرشده الى البئر التي دُفن فيها السحر ، وحين رُدِمت البئر

وطُمِرَت بطل السحر عن سيدنا رسول الله ﷺ فكانت تلك من معجزاته ومن دلائل

النبوة .

ولا يوجد دليل يمنع من إمكان وقوع السحر بالنبي ﷺ، بل يوجد دليل في القرآن الكريم على وقوعه، فقد أخبرنا الله أن موسى عليه الصلاة والسلام سُحِر، قال الله تعالى:

(وجف طلع نخلة ذَكَر) : هو الغشاء الذي يكون على الطلع ، ويطلق على الذكر والأنثى , فلهذا قيده بالذَّكَر .

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ﴾

(وهذا السحر لا يؤثر على مقام النبوة؛ لأنه لم يؤثر في تصرف النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالوحي والعبادات.

وأما السحر الذي وقع للرسول ﷺ فلم يؤثر عليه في شيء من الوحي ولا في شيء من العبادات)[١]

وقال ابن القيم :

((الحديث صحيح بالإتفاق لم يطعن أحد من اهل الحديث في حرف من حروفه))

واستبان من معانى الروايات التي أوردت الحديث أن السحر إنما يسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله، وقلبه، واعتقاده، ﷺ ويكون معنى قوله في الحديث: "حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن"، ويروى: "يخيل إليه" أي:

---

[١] فتوى الشيخ مُحَمَّد بن عثيمين – «المجموع الثمين» (ج٢ / ١٣٤-١٣٥)

يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن وزوال ما أنكر قبل من حاله، فإذا دنى منهن أخذته أخذة السحر، فلم يأتهن، ولا يتمكن من ذلك، كما يعترى من وخذ وسحر عن ذلك .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

(قال المازري : أنكر المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها , قالوا : وكل ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل , وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ (هناك) , وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء , قال المازري : وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ , والمعجزات شاهدات بتصديقه , فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض , فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين .

قال : وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن , وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة .

قلت – أي : ابن حجر - : وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة عند البخاري ، ولفظه : (حتى كان يرى (أي : يظن) أنه يأتي النساء ولا يأتيهن) وفي رواية الحميدي

: (أنه يأتي أهله ولا يأتيهم) .

قال عياض : فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده ... .

وقال المهلب : صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده , ففي الصحيح أن شيطاناً أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه , فكذلك السحر ، ما ناله من ضرره لا يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ , بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام , أو عجز

عن بعض الفعل , أو حدوث تخيل لا يستمر , بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين)[1]

وقال ابن القيم رحمه الله :

(هديه ﷺ في علاج السحر الذي سحرته اليهود به :

قد أنكر هذا طائفة من الناس ، وقالوا : لا يجوز هذا عليه ، وظنُّوه نقصاً وعيباً ، وليس الأمر كما زعموا ، بل هو من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما ، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (سُحِر رسول الله حتى إن كان ليخيَّل إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتهن ، وذلك أشد ما يكون من السحر) قال القاضي عياض : والسحر مرض من الأمراض ، وعارض من العلل ، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا يُنكر ، ولا يَقدح في نبوته .

وأما كونه يخيَّل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله : فليس في هذا ما يُدخل عليه داخلة في شيء من صدقه ؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز أن يطرأ عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث لسببها ، ولا فُضِّل من

---

[1] فتح الباري" (١٠/٢٢٦، ٢٢٧)

أجلها ، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أنه يخيَّل إليه مِن أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان)[1]

إن هذا الحديث وهذا الحدث يشير الى كرامة رسول الله ﷺ عند ربه الذي أنبأه بحاله وبيَّن له علاجه ، والمكان الذي دُفن فيه السحر ، ويقود الى صِدق حديث رسول الله في تحديد العارض وسببه ومكان السحر وبشكل دقيق ...وان الله سبحانه وتعالى يعصم نبيَّه ﷺ قبل السحر وأثناءه وبعده ، ولا يعدو سحره عن كونه متعلقاً بظن النبي ﷺ أنه يأتي أهله وهو لم يفعل ، وهو في أمرٍ دنيوي بحت ، ولا علاقة لسحره بتبليغ الرسالة البتة .

[1] زاد المعاد (١٢٤/٤)

۞ رسول الله ﷺ يخبر عُمَير بن وهب الجُمَحي بما دار بينه وبين صفوان بن أمية

(وما رواه عروة بن الزبير قال: جلس عُمَير بن وهب الجُمَحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عُمَير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله واصحابه ويلقون منه عناء ـ أي تعب ـ وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أُسارى بدر، فذَكر اصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير.

فقال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دَيّنٌ عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضَيعة ـ الضياع والتشتت ـ بعدي، لركبت الى مُحَمَّد حتى أقتله، فأن لي فيهم علّة ـ سبب يسمح لي بالدخول ـ إبني أسير لديهم.

فتغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليّ ديّنك انا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي اواسيهم ـ اتحمل مؤونتهم ـ ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم. فقال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك.

ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ وسُمَّ، ثم انطلق حتى قَدِمَ المدينة

فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به، اذ نظر عمر الى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء الا لشرّ، وهو الذي حرش بنا وحزرنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله فقال له: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه.

قال: فأدخله عليّ.

فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه ـ ما يربط به السيف الى الجسم ـ في عنقه فلبّبه بها، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار ادخلوا على رسول الله فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون.

ثم دخل على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال ((أطلقه يا عمر، ادنُ يا عمير))

فدنا ثم قال: أنعِموا صباحا، وكانت تحية اهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله: ((أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية اهل الجنة))

فقال: أما والله يا مُحَمَّد ان كنت بها لحديث عهد.

فقال ﷺ ((فما جاء بك يا عمير ؟))

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال ﷺ ((فما بال السيف في عنقك ؟))

قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا.

قال ﷺ ((أصدقني ما الذي جاء بك))

قال: ما جئت الا لذلك.

قال ﷺ ((بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دَين عليّ، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل مُحَمَّداً، فتحمّل لك صفوان بن أمية بدَينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائلٌ بينك و بين ذلك))

قال عمير: أشهد انك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا انا وصفوان، فوالله اني لأعلم ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق.

ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ ((فقِّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القران وأطلقوا أسيره)) ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله اني كنت جاهداً على اطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجلّ وانا أحب ان تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم الى الله تعالى والى رسوله والى الاسلام، لعل الله يهديهم، فأذن له رسول الله) [1]

وهذا من دلائل نبوته ﷺ حيث أخبر عمير بالذي دار بينه وبين صفوان ، وقد ثبت صحة قوله وصدق نبوءته ، كما صَدَق في قبلها وصَدَق بالذي تلاها ، وهو الذي يُخبِرُ عن ربه صِدقاً وحقاً .

[1] ضوع الطيب ص ١٨٥ – ١٨٦ عن مجمع الزوائد (٢٨٤/٨ – ٢٨٦) ورواه الطبراني مرسلاً واسناده جيد ، وانظر البداية والنهاية (٣١٣/٣) و الشفا (٣٤٢/١ – ٣٤٣)

۞ رسول الله ﷺ يخبر أبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام بالذي قالوه

وحان وقت الصلاة يوم منَّ الله على نبيِّه ﷺ والمسلمين بفتح مكة فصعد بلال فوق الكعبة و أذن للصلاة، أذن بصوت ملأ آفاق مكة، وبعد أن كان الآذان بالأمس همسا والصلاة في الخفاء، أصبح الآذان يملأ أرجاء مكة والصلاة بالعلن جمعا خلف رسول الله صَلى الله عليه وسلم .

(وحين كان بلال يؤذن للصلاة وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم لقد علمت الذى قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال : الحرث وعتاب نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك) [1]

---

[1] عيون الأثر ٢ / ٢٠٠ و السيرة النبوية – ابن كثير ٣ / ٥٧٥ و سيرة ابن هشام ٢ / ٤١٣

قول أبي سفيان: "لو تكلمتُ لَأَخْبرَتْ عني هذه الحصى" يعني: أنه أدرك أن مُحَمّداً ﷺ نبي يوحى إليه، وسوف يصل إليه الأمر عن طريق الوحي . وهذا صواب .، وذلك لأن من معجزات نبينا ﷺ وإرهاصات نبوته أن الحجر كان يسلم عليه حتى من قبل بعثته،

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل . أي حجر . ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله) رواه الترمذي وصححه الألباني.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إني لأعرف حجرا بمكة، كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن) رواه مسلم .

وفي مكة ، يوم الفتح أخبر رسول الله ﷺ أبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام بالذي قالوه ، وقد صَدَّقوه في الذي قاله ، فأسلموا بعد ان تبين لهم صِدقه بالذي أخبرهم به ، وبصِدقه حين يقول انه رسول الله ونبيِّه .

۞ ردُّ رسالة حاطب ابن أبي بلتعة

عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي ﷺ قال بعثني رسول الله ﷺ والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي وكلنا فارس فقال :

انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين .

قال فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ قال قلنا أين الكتاب الذي معك قالت ما معي كتاب فأنخنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا قال صاحباي ما نرى كتابا قال قلت لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك قال فلما رأت الجد مني أهوت بيدها إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الكتاب قال فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقال ما حملك يا حاطب على ما صنعت قال ما بي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله قال صدق فلا تقولوا له إلا خيرا قال فقال عمر بن الخطاب إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فأضرب عنقه قال فقال يا عمر وما

يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة قال فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم [1]

وجاء الحدث والحديث من جهة أخرى بمعنى مماثل ومقارب ، حيث قال الإمام أحمد في مسنده :

حدثنا سفيان، عن عَمْرو، أَخْبَرَنِي حَسَن بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنِي عُبَيد اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ -وَقَالَ مُرَّةُ: إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ، فَقَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينة مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا". فَانْطَلَقْنَا تَعَادى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. قُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لنُلقين الثِّيَابَ .

قَالَ: فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ عِقَاصها، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: من حاطب بن أبي بلتعة إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا ؟ ".

قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ

[1] صحيح البخاري ٥ / ٢٣١٠ برقم ٥٩٠٤

فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ ديني ولا رضى بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِنَّهُ صَدَقكم". فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، مَا يُدْرِيكَ لَعَلّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" [1]

وَهَكَذَا أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهْ، مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيينة .

وَزَادَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ "الْمَغَازِي": فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ

[1] المسند (١/٧٩، ٨٠) وصحيح البخاري برقم (٣٠٠٧، ٤٨٩٠) وصحيح مسلم برقم (٢٤٩٤) وسنن أبي داود برقم (٢٦٥٠) وسنن الترمذي برقم (٣٣٠٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٥٨٥)

﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ الممتحنة ١–٣

۞إخْبَارُ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وَسلم بِأَكْلِ الْأَرَضَةِ لِلصَّحِيفَةِ

أخبر رسول الله ﷺ عمه أبي طالب بأن الأرضة أكلت صحيفة المقاطعة الظالمة التي علقتها قريش في الكعبة ووضعت فيها بنود المقاطعة المفروضة على المسلمين ومن ناصرهم من آل عبد المطلب .

يقول ابن هشام في السيرة النبوية : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب :

يا عَمِّ، إنَّ رَبِّي اللَّهَ قَدْ سَلَّطَ الْأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا هُوَ للَّه إلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا، وَنَفَتْ مِنْهُ الظُّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ''

فقال : أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نعم

قَالَ: فو الله مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، ثُمَّ خَرَجَ إلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا، فَهَلُمَّ صَحِيفَتُكُمْ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخِي، فَانْتَهُوا عَنْ قَطِيعَتِنَا، وَانْزِلُوا عَمَّا فِيهَا، وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا دَفَعْتُ إلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي .

فقال القوم : رَضِينَا، فَتَعَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَظَرُوا، فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا.

فعند ذلك صنع الرَّهْطُ من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا [1]

أخبر النبي ﷺ عمه بأن الأرضة أكلت ما كُتب في الصحيفة إلا اسم الله تعالى ، وقد صدق الرسول الصادق فيما قال ، وظهر صِدقه الذي أدركته عيون الكفار من قريش لكنه لم يلامس قلوبهم ، فأنوار الحق ونفحاته تتنزل في كل وقت وفي كل مكان ، وهناك من يلامس النور قلبه ، وهناك من ينغلق على كفره ونفاقه .

---

[1] سيرة ابن هشام ١ / ٢٥٣ و السيرة النبوية عرض وقائع ص ٢٩٤

۞ دعاء النبي ﷺ على عتيبة ابن أبي لهب

كانوا يعلمون أنَّ مُحَّمداً نبي الله ورسوله ، علموا ذلك وتيقّنوا منه ، لكنهم جحدوه كِبراً وعناداً ، فظلموا بذلك أنفسهم ، حتى ان ابا لهب يقول حين سُئل عن نبوة ابن أخيه : إني لأقر لمحمد بالنبوة أكثر مما أقر لعتبة بالبنوة ، لكنه كَفَرَ بما أُنزل على رسول الله ﷺ

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [١]

ويوم نزل قول الله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣)وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾

تثور ثائرة أبي لهبٍ وهو المتكبّر أن يوصف بالذي يكرهه ، فيحرّض ابنيه عتبة بن أبي لهب واخيه عتيبة على ان يطلقا ابنتي رسول الله ﷺ .

وعند ابن حبان: "وزوَّج رسول الله ﷺ ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم ابنته الأخرى من عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ أمرهما أبوهما أن يفارقاهما، ففارقاهما"]

---

[١] النمل / ١٤

ويذهب عتبة وقد أخذه غرور الجبابرة الصغار وعلى مرأى من الناس فيتجاوز على رسول الله العالي القَدْر العظيم الجاه ، ويملأه الكبر والغرور فيشق قميص رسول الله ﷺ ويطلق ابنته ويكفر بالذي أُنزِلَ عليه ، ويُسمعه ما لا يرضاه ولا يليق به ، فيمتلئ القلب الكريم بالأسى والألم فيرفع عينيه الى السماء ويستنصر ربه فيدعو على عتبة : أللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك .

ويهزُّ الدعاء قلب عتبة وأبيه ، ويتملكهما الخوف ، فهما على يقين بأن محمدٌ نبيٌّ الله ورسوله وأنَّ الله سيستجيب له ، لكنهما يمضيان يلفهما غرور وكِبر .

ويوم أراد عتبة الخروج مع صحبه في قافلة للتجارة ، يوصي أبو لهب رجال القافلة ان يحرسوا ابنه مخافة ان تتحقق فيه دعوة ابن أخيه .

وودع أبو لهب ابنه, وهو يهم بالرحيل في قافلة تجارية إلي الشام, وليس نصب عينيه وأذنيه ومشاعره إلا دعوة مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم "اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك".

بدأ الركب مسيره إلي الشام, وفي الليل بلغوا واديًا يسمي ""وادي القاصرة"" , وهو واد مسبعة – أي كثير السباع– فنزلوه للاستراحة, وكما يروي ""هبّار بن الأسود"" – أحد رجال الركب – أصر عتبة ألا ينام إلا وسط رفاقه قال هبار:

فما راعني إلا ""أسد"" يشم رؤوسنا رجُلا رجلاً, حتي انتهي إلي عتبة, فأنشب مخالبه في صدغيه, فصرخ عتية ""يا قوم قتلتني دعوة مُحَمَّد"".

ويبكي ابو لهبٍ وفي قلبه يتردد صدى دعاء النبي ﷺ أللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك .

ويتحقق للنبي ما أراده ويتحقق ما حدَّدَه في نهاية عدو الله .

وهذه الحادثة لفظها عند الحاكم، والبيهقي عَنْ أَبِي نَوْفَلِ بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ. فَخَرَجَ فِي قَافِلَةٍ يُرِيدُ الشَّامَ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا لَهُ: كَلَّا ، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ، وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ، فَجَاءَ الْأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ، فَذَهَبَ بِهِ. قال الحاكم: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وحسنه الحافظ في الفتح .

هذا بالنسبة للأحاديث التي تحققت في حياة النبي صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم، وهناك احاديث أخبر النبي فيها عن احداث ستقع وقد وقعت فعلاً بعد وفاته صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم... كلها أو بعضاً منها .

أحاديث تحققت بعد وفاته

صلى الله عليه وسلم

۞ السيدة فاطمة الزهراء اول اللاحقين بالنبي

من حديث ام المؤمنين عائشة ﵂ قالت :

﴿﴿ عن أم المؤمنين عائشة ﵂ انها قالت :

أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ، فقال النبي :

(مرحباً بابنتي) ثم أجلسها عن يمينه او عن شماله ، فأسرَّ اليها حديثاً فبكت فقلت لها لم تبكين ؟ ثم اسرَّ لها حديثاً فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ، فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله ﴾﴾ [١]

ثم ان السيدة عائشة أعادت عليها السؤال بعد وفاة رسول الله ﷺ ،

(فقالت اسرَّ اليَّ (ان جبريل كان يعارضني القران كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا حضر أجلي وإنك اول اهل بيتي لحاقاً

---

[١] صحيح البخاري كتاب المناقب ٢ / ٤٠٦ برقم ٣٦٢٣ ومسند الامام احمد ٦ / ٢٤٠ برقم ٢٦٠٧٤ وصحيح بن حبان ١٥ / ٢٠٤ برقم ٦٩٥٣ ، وفي صحيح مسلم بلفظ (وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ) ٤ / ١٩٠٥ برقم ٢٤٥٠

بي) فبكيت فقال لي (اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة أو نساء العالمين) [1]

وهذا ما وقع فعلاً فقد اجمعت كتب السيرة على ان السيدة فاطمة الزهراء ﵂ كانت اول اهل بيت النبي لحوقاً به وحتى قبل زوجاته .

---

[1] البخاري كتاب المناقب ٢ / ٤٠٦ برقم ٣٦٢٤

۞ جنان وسط الصحراء

عن معاذ ابن جبل ﷺ أنهم حين خرجوا لغزوة تبوك أن الرسول ﷺ صلى بهم المغرب والعشاء جمعاً ثم قال :

﴿﴿ إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحي النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي﴾﴾

فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك (سير النعال والمقصود ماء قليل جدا) تنبض (تسيل) بشيء من ماء فسألهم رسول الله ﷺ

﴿﴿هل مسستما من مائها شيء ﴾﴾ قالا نعم وقال لهما ما شاء أن يقول ، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ، وغسل رسول الله ﷺ فيه يده ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر حتى استسقى الناس .

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل

﴿﴿ يوشك يا معاذ ، إن طالت بك حياة ، أن ترى ما هاهنا قد مليء جنانا ﴾﴾.[1]

---

[1] - مسلم كتاب الفضائل باب معجزات النبي ﷺ ٤/١٧٨٤ برقم ٧٠٦ .

كانت منطقة تبوك والوادي الذي تجري فيه العين حينها جرداء لا نبات فيها ، وعندما تفجر الماء وتدفق ، أخبر النبي الصادق صلى ألله عليه وسلم أن زيادة الماء وتدفقه غزيرا لن يكون لسد حاجة الجيش الإسلامي فقط بل سيستمر وستكون في هذه الأرض القاحلة بساتين وأشجارا وخضرة لاحقا .

تقع إمارة تبوك في شمال غرب السعودية محاذية لبلاد الشام من الشمال و لها ساحل على البحر الأحمر.

منطقة تبوك منطقة صحراوية كانت قليلة المياه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن بسبب التغيرات المناخية التي تأثرت بها المنطقة والكرة الارضية بشكل عام زادت فيها نسبة هطول الامطار وأصبحت من أهم موارد المياه في المملكة العربية السعودية وأصبحت تعتبر من المناطق الزراعية وبلغت مساحة الرقعة المزروعة في عام ١٤٢٠هـ حوالي ٢٢٨٣٨٤٠ هتكار، وتركز ٧٠% منها حول مدينة تبوك على طريق المدينة المنورة وطريق الأردن (الملك خالد سابقاً) ويتصدر القمح المحاصيل المزروعة، ويوجد على بعد ٤٥ كم تقريباً من مدينة تبوك باتجاه الحدود الأردنية شركة تبوك للتنمية الزراعية (تادكوا) العملاقة أكبر شركة زراعية بالشرق الأوسط المتخصصة في إنتاج الفاكهة والأعلاف والحبوب

وابن خزامه في صحيحه ٨٢/٢ ، وصحيح ابن حبان ٤٧٥/١٤ برقم ٦٥٣٧

والبطاطس والبصل، كما يوجد في تبوك شركة(أسترا) بمساحة ٣٥ كم٢ التي تنتج زهور القطف (الورد الجوري، القرنفل، الليليم، الأقحوان،الجربيرا، الآستر) وتصديرها إلى الأسواق المحلية فقط، وكذلك تنتج مزارع تبوك العنب و الزيتون و الدراق والخوخ والمشمش والحمضيات والتفاح.

لقد تحقق ما تنبأ رسول الله بحصوله واصبحت المنطقة القاحلة المملوءة صخوراً ورمال ، اصبحت جناناً تصدّر المحاصيل والمنتوجات الزراعية ، وسيستمر بإنتاجها وتستمر جنانها وستزيد ، فالذي وعد ، أصدق الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم .

۞ وفاة ابي ذر وحيداً

في الطريق إلى غزوة تبوك تخلف عن رسول الله ﷺ وجيش المسلمين من لم يشأ الله إن يلحقه بركب النور ..فقيل للنبي ﷺ قد تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال ﴿﴿ دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ﴾﴾ وتمهل بأبي ذر بعيره فلما أبطأ به أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر الرسول ﷺ ماشيا على قدميه .

ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله فنظر ناظر المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله ﷺ:

﴿﴿ كن أبا ذر﴾﴾ (وهذا لفظ بمعنى الدعاء .. أرجو أن تكون أبا ذر)

فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿﴿ رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَث وحده ﴾﴾ .

ومضى الزمان وجاء عصر عثمان ﷺ وسيّر أبو ذر إلى الربذة فلما حضرته الوفاة أوصى امرأته وغلامه :

إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر فقولوا هذا أبو ذر .

فلما مات فعلوا به كذلك فطلع ركب به ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال ماهذا قيل جنازة أبي ذر فاستهل ابن مسعود يبكي ، فقال صدق رسول لله صلى ألله عليه وسلم «« يرحم ألله أبو ذر يمشي وحده ويموت وحده ، ويبعث وحده »»[1]

وفي هذا دلالة على صدق النبوة فالإخبار بما سيقع معجزة وتكريم من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ .

[1] – المستدرك على الصحيحين ٥٢/٣ برقم ٤٣٧٣ ، والسيرة النبوية ٢٠٢/٥ ، والبيان والتعريف ١١٣/٢.

۞ تمزق مُلك فارس

حين بعث رسول الله ﷺ بكتابه مع عبد الله بن حذافه السهمي رضي الله عنه الى عظيم البحرين ليدفعه إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه وقال يكتب إلي هذا وهو عبدي .

فلما بلغ رسول الله ﷺ أنه مزق كتابه قال :

﴿ مزق الله ملكه ﴾[1]

قصة كسرى وقيصر المشهورة مع النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بالتأمل، فقد كتب إليهما النبي صلى الله عليه وسلم ، فامتنع كلاهما من الإسلام، لكن قيصر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكرم رسوله، فثبت الله ملكه، وكسرى مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتله الله بعد قليل، ومزق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك

---

[1] – تاريخ الطبري ١٣٣/٢ ، وأورد البخاري في كتاب المغازي باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ١٦١٠/٤ برقم ٤١٦٢ : فحسبت إن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق .

لقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم أساليباً عديدة في دعوة الناس ودعاهم إلى الله سبحانه وتعالى بصور مختلفة ووسائل متنوعة ومن هذه الوسائل والأساليب أسلوب المكاتبة والمراسلة وإرسال الرسائل إلى الزعماء والكبراء والملوك والأمراء.

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى كل ملك في زمنه رسالة يدعوه فيها إلى الله ويحدثه فيها عن جمال الإسلام وعدله واحسانه فمنهم من أسلم كالنجاشي ملك الحبشة ومنهم من أعجب بالإسلام ولكنه لم يسلم كالمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم والمنذر بن ساوي ملك البحرين ومنهم من عاند وكابر ككسرى ملك فارس .

حيث أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك فارس برسالة في السابع من شهر جمادى الأول من السنة السابعة للهجرة وهذه الرسالة كانت سبباً في إسلام أهل اليمن وكانت فتحاً عظيماً على بلد اليُمن والإيمان والحكمة وايذانا ً بزوال حكم كسرى وسقوط مملكته .

اختار النبي صلى الله عليه وسلم لحمل هذه الرسالة إلى كسرى ملك الفرس عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه .

قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن حميد، حدثنا سلمة، حدثنا ابن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب قال: وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وأمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله الى الناس كافة ، لينذر من كان حياُ ، أسلِم تَسلَم ، فإن أبيت عليك اثم المجوس [1]

وصلت الرسالة إلى الملك وقام الترجمان بترجمتها له فلما قُرئت عليه أخذها ومزقها ورمى بها وقال عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي إشارة إلى ما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "من مُحَمَّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس" فلما بلغ خبر تمزيق الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال "مزق الله ملكه".

ثم انه أرسل رسالة عاجلة إلى باذان عامله أو وكيله على اليمن في صنعاء يقول له فيها ابعث برجلين جلدين (قويين) إلى الحجاز فليأتياني بهذا الرجل فبعث باذام قهرمانه – وكان كاتبا حاسبا – بكتاب فارس وبعث معه رجلا من

---

[1] تاريخ الطبري ٢ / ٦٥٤ ـ ٦٥٥

الفرس يقال له خرخسرة، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى.

وقال لرسوله أبا ذويه: إيتِ بلاد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره.

فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف، فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة.

واستبشر أهل الطائف وقريش بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل.

فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعا حتى تأتياني غدا.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله

فدعاهما صلى الله عليه وسلم فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول؟ أنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فنكتب عنك بهذا، ونخبر الملك باذام.

قال: «نعم أخبراه ذاك عني، وقولا له إن ديني سيبلغ ما بلغ كسرى، وينتهي إلى الخف والحافر، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء».

ثم أعطاهما منطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتى قدما على باذام، فأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول، وليكونن ما قد قال، فلئن كان هذا حقا فهو نبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأيا.

فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد: فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم، ونحرهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن.

وكان قد قال باذويه لباذام: ما كلمت أحدا أهيب عندي منه.

فقال له باذام: هل معه شُرَط؟

قال: لا.

قال الواقدي رحمه الله: وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه، ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من س الملك على يد ابنه واستيلائه على الحكم بعد مقتل أبيه في نفس الليلة التي أخبرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبباً في إسلام باذان وتصديقه برسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو ومن معه في حكومته من أهل فارس في اليمن وعلى إثر إسلامهم أسلم أهل اليمن. سنة سبع من الهجرة، لست ساعات مضت منها.

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن أبي بكرة أن رجلا من أهل فارس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ربي قد قتل الليلة ربك» يعني كسرى.

كان كسرى ملكاً متجبرا متكبراً يؤلهه قومه ويسجدون له ويعبدون النار أمامه ويقدسونه تقديساً مبالغاً فيه وكان يملك أجزاء كبيرة جداً من الأرض ويحكم مساحات عظيمة في شرق الدنيا وغربها ومع هذه الهالة وهذه الصولة والجولة إلا أن الله سبحانه وتعالى مزق ملكه بعد أقل من سبع سنوات من تمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهارت دولته وكسر الصحابة رضي الله تعالى

عنهم في معركة القادسية كيسر وأهانوه ومزقوا ملكه ودكوا حصونه وفتحوا بلدانه ورفعوا راية التوحيد في أرضه واطفأوا النيران المجوسية التي كانوا يعبدونها في زمانه وجعلوها أثراً بعد عين وصدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: "إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" رواه البخاري ومسلم.

لقد حدث كما قال المصطفى ﷺ .

انهزم جيش الفرس أمام جيش الروم هزيمة منكرة ، وانقلب عليه ابنه (قباذ) الملقب شيرويه فقتله سنة ٦٢٨ م وهو ذليل وأخذ ملكه ، واستمر التمزق فلم يعش شيرويه الا ستة أشهر ،وتوالى على العرش عشرة ملوك في ستة أشهر ، حتى استولى الجيش الإسلامي على بلاد فارس فاتحا ، في زمن الخليفة عمر رضي ألله عنه عام ٦٣٧ م منهيا حكم الدولة الساسانية ، بعد ثماني سنين من قول المصطفى ﷺ بذلك .[1]

[1] انظر تاريخ الطبري ٣ / ٩٠- ٩١ و السيرة لابن كثير ٣ / ٥١٠ و فتح الباري ٨ / ١٢٧ - ١٢٨

۞ التطاول في البناء

قال رسول الله ﷺ :

﴿﴿ إذا تطاول رعاء ألبهم في البنيان فذاك من أشراطها ﴾﴾ [1]

حين قيل هذا الحديث الشريف كان رعاة الإبل يجوبون الصحراء بحثاً عن الكلأ بيوتهم خيماً يسهل حملها ، وما كانوا ليستوطنوا أرضاً أو يثبتون بمكان، وما كان لهم سكن مستقر .

من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ والتي ظهرت ونعيشها ونلمسها تطاول اهل البوادي في البنيان فاستبدلوا الخيم بعمارات وأبنية متعددة الطوابق والأدوار ، و يتباهون بارتفاعها ويتنافسون في ارتفاعها بعد رعيهم للغنم وبعد ان كانوا حفاة عراة لا يملكون من الدنيا غير الشياه والاغنام وخيامهم التي ترتحل معهم واثاث بسيط .

حين سمع الصحابة رضوان الله عليهم كلام رسول الله ﷺ كان ذلك يخالف كل منطق ويخالف كل تصوّر لكنهم صدّقوه لأنه قول الصادق المصدوق والذي

---

[1] – مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإحسان ١/٣٩ برقم ٩ ، وصحيح ابن حبان ١/٣٩١ برقم ١٦٨.

لمسنا صِدقَ حديثه ورأينا صِحةِ ما أنبأ به ﷺ .أورد مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر – وفي الحديث – قال فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرني عن اماراتها ؟ قال : أن تلد الأمَةَ ربتها او ربّها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البناء .

واخرج البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال للسائل عن وقت قيام الساعة ((ولكن سأحدثك عن أشراطها ... واذا تطاول رعاء البهائم في البنيان)) الحديث .

وفي رواية في الصحيحين : ((لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان))

وعند الامام احمد من حديث ابن عباس ان رسول الله ﷺ أخبر جبريل عليه السلام عن امارات الساعة : اذا رأيت الأمَةَ ولدت ربتها او ربها ورأيت اصحاب الشاء يتطاولون في البنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس

الناس فذلك من اشراطها .. قيل يا رسول الله ومن اصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة . قال : العرب .

السلسلة الصحيحة ١٣٤٥

ومضمون الحديث يشير الى فساد المجتمع بسبب توسد الأمر غير اهله وان تأول الرئاسة الى الأقل شأناً فيصبح الرعاء الجياع الحفاة سادة القوم واصحاب الأموال فيتطاولون في البناء وتصبح لهم الدنيا وزعامة الناس وقيادتهم .

قال رسول الله ﷺ "إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" فإذا صار الحفاة [1]العراة [2] رعاء الشاء [3]، وهم أهل الجهل والجفاء رءوس الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا

---

[1] الذين لا يلبسون نعلاً بأرجلهم

[2] الذين لا يستر اجسادهم ثوب

[3] حراس الغنم ، وهم أشد الناس فقرا

۞ فتح البلدان

عن البراء بن عازب الأنصاري ﷺ قال لما كنا حيث أمرنا رسول الله ﷺ أن نحفر الخندق عرض لنا في بعض الجبل صخرة عظيمة شديدة لا تدخل فيها المعاول فاشتكينا ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فلما رآها أخذ المعول وألقى ثوبه وقال بسم الله

ثم ضربها فكسر ثلثها وقال :

﴿﴿ الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ﴾﴾

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال :

﴿﴿ الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ﴾﴾

ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر وقال :

﴿﴿ الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء﴾﴾ [١]

---

[١] – مصنف بن أبي شيبة باب غزوة الخندق ٣٧٨/٧ برقم ٣٦٨٢٠ .
ومسند الامام أحمد ٣٠٣/٤ ، ومسند أبي يعلى ٢٤٤/٣ برقم ١٦٨٥ .

والذي أورده النسائي بالحديث الذي حسّنه الألباني :

لما أمرَ النَّبيُّ بحَفرِ الخندقِ ، عَرضَت لَهُم صخرةٌ حالَت بينَهُم وبينَ الحفرِ ، فَقامَ رسولُ اللَّهِ ، وأخذَ المعولَ ، ووضعَ رداءَهُ ناحيةَ الخندَقِ ، وقالَ : تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَندرَ ثلثُ الحجرِ ، وسَلمانُ الفارسيُّ قائمٌ ينظرُ ، فبرَقَ معَ ضربةِ رسولِ اللَّهِ برقةٌ ، ثمَّ ضربَ الثَّانيةَ ، وقالَ : تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فندرَ الثُّلثُ الآخرُ ، فبرقت برقةٌ فرآها سَلمانُ ، ثمَّ ضربَ الثَّالثةَ ، وقالَ : تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فنذر الثُّلثُ الباقي ، وخرجَ رسولُ اللَّهِ ، فأخذَ رداءَهُ وجلَسَ ، قالَ سلمانُ : يا رسولَ اللَّهِ ، رأيتُكَ حينَ ضربتَ ، ما تضربُ ضربةً إلَّا كانت معَها بَرقةٌ ، قالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ : يا سَلمانُ ، رأيتَ ذلِكَ فقالَ : أي والَّذي بعثَكَ بالحقِّ يا رسولَ اللَّهِ ، قالَ : فإنِّي حينَ ضَربتُ الضَّربةَ الأولى رُفِعَت لي مدائنُ كِسرى وما حولَها ومدائنُ كثيرةٌ ، حتَّى رأيتُها بعينيَّ قالَ لَهُ مَن حضرة من أصحابِهِ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادعُ اللَّهَ أن يفتحَها علَينا ويغنِّمَنا ديارَهُم ، ويخرِّبَ بأيدينا بلادَهُم ، فدعا رسولُ اللَّهِ بدلك ، ثمَّ ضَربتُ الضَّربةَ الثَّانيةَ ، فرُفِعت لي مدائنُ قيصرَ وما حولَها ، حتَّى رأيتُها بعينيَّ ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ادعُ اللَّهَ أن يفتحَها علَينا ويغنِّمَنا ديارَهُم ،

ويخرِّبَ بأَيدينا بلادَهُم ، فدعا رسولُ اللَّهِ بذلِكَ ، ثمَّ ضرَبتُ الثَّالثةَ ، فرُفِعَت لي مدائنُ الحبشةِ وما حولَها منَ القُرى ، حتَّى رأيتُها بعينيَّ ، قالَ رسولُ اللَّهِ : عندَ ذلِكَ دَعوا الحبشةَ ما ودَعوكُم ، واترُكوا التُّرك ما ترَكوكُم [1]

هذا حديث المصطفى ﷺ وهو والمدينة والمسلمون محاصرون والإسلام والدعوة في خطر شديد وكل الأسباب والمعطيات تقود إلى أن الإسلام والمسلمين إلى زوال ، أو يكادون ، وبلغت قلوب الكثير من المسلمين الحناجر خوفاً .

في هذا الجو المملوء خوفاً والذي يفيض رعباً يبشر الصادق الأمين بأن الله العزيز الجليل سبحانه وتعالى سيفتح له الشام وفارس واليمن .

ويتحقق ما أنبأ به المصطفى ﷺ الذي لا يقول إلا صدقاً وان كانت الأحداث تلوح باستحالة ذلك أو صعوبة حدوثه ، فصلى الله عليك يا سيد الأولين والآخرين .

[1] النسائي بالرقم: ٣١٧٦

۞ هلاك كسرى

ذكرت قريش للنبي ﷺ خوفها من انقطاع معاشها بالتجارة مع الشام والعراق إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام خلاف ملك الشام والعراق [1] .

قال أبو هريرة إن النبي ﷺ قال :

﴿﴿ هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكنَّ ثم لا يكون قيصر بعده ، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله ﴾﴾ [2]

وهلك كسرى فلم يكن بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده ، وهلك قيصر فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس ، وقيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام .

---

[1] - سنن البيهقي الكبرى – باب إظهار دين النبي مُحَمَّد ﷺ ٩/١٨١

[2] - البخاري كتاب الجهاد والسيرة باب الحرب خدعة ٣/١١٠٢ برقم ٢٨٦٤ .
ومسلم باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ٤/٢٢٣٧ برقم ٢٩١٨
وصحيح ابن خزيمه ٣/٤٦ برقم ١٥٩٧

۞ فتح كنوز كسرى

عن عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال :

﴿﴿ يا عدي هل رأيت الحيرة ﴾﴾ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال ﴿﴿فان طالت بك حياة لترين الظعينة [1] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله ﴾﴾ قلت فيما بيني ونفسي فأين دعار [2] طيء الذين قد سعروا [3] البلاد ﴿﴿ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ﴾﴾ قلت كسرى بن هرمز قال﴿﴿ كسرى بن هرمز﴾ ﴾

قلت كسرى بن هرمز ؟

قال : ﴿﴿ كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لَتَرَينَّ الرجل يخرج مِلءَ كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احداً يقبله منه ، ولَيَلقينَّ اللهَ أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولنَّ : ألم ابعث لك رسولاً فيُبلِّغُكَ ؟ فيقول بلا ، ألم أعطك مالاً

---

[1] الظعينة : المرأة في الهودج وهو في الأصل اسم للهودج (ابن حجر العسقلاني فتح الباري ٦/٦١٣

[2] دعّار : جمع داعر وهو الشرير ، والمراد به هاهنا قطاع الطرق

[3] سَعَّروا : اوقدوا نار الفتنة وملئوا الأرض فساداً وشرا

وأفضلُ عليك ؟ فيقول بلا ، فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم ﴾﴾

قال عدي سمعت النبي يقول :

﴿ اتقوا النار ولو بشقة تمرة ، فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة) قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحِيرةِ حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ﴾ [1]

كانت جزيرة العرب تعج بالدعار و بقطاع الطرق حينها وكانت عصابات السطو والسرقة تجعل السفر بلا حرس وسلاح ورفقة ، مستحيلة فلم يكن ثمة نظام ولا أمان ، فالفوضى والقتل والسرقة منتشرة في كل أنحاء الجزيرة وطرقها .

والنبي ﷺ أنبأ عدي في حديثه بان هذا القتل السائد والسرقة المنتشرة سينقلب أمناً ، وان أهل الجزيرة المنقسمون طوائف وقبائل متناحرة، المستضعفون الذين لم يجتمعوا على كلمة أو رأي ، سيغزون فارس إحدى القوتين العظيمتين في العالم والتي تمتد سيطرتها على بقاع شاسعة من العالم، وسيدخلونها فاتحين غانمين .

[1] البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٣١٦/٣ برقم ٣٤٠٠

۞ الامام الحسن عليه السلام يصلح بين المسلمين

عن أبا بكرة ﷺ انه قال : اخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال

﴿﴿ ابني هذا سيد ،

ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ﴾﴾[1]

وبعد ما يقرب من أربعين عاماً وبعد أن جيّش معاوية جيشا كبيرا لقتال جيش الخليفة الإمام الحسن بن علي ﷺ وقبل أن يلتقي الجيشان بادر الإمام الحسن ﷺ وبما عرف عنه من زهد في الدنيا وزخرفها ، وإيثارا لما عند الله سبحانه وتعالى على الملك والسلطة، وحقناً لدماء المسلمين، بادر إلى عقد صلح مع معاوية تنازل فيه عن الملك ، وأصلح الله سبحانه وتعالى به بين فئتين من المسلمين .

---

[1] – البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة ١٣٢٨/٣ برقم ٣٤٣٠ .
والأحاديث المختارة ٢٢٢/٥ برقم ١٨٥١

۞ خلافة النبوة ثلاثون عاما

عن سفينة مولى رسول الله ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً ﴾﴾[1]

وهذا ما حصل وكما أخبر به رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ؛ فقد كانت خلافة أبي بكر ﷺ سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر بن الخطاب ﷺ عشر سنين وستة أشهر، وخلافة عثمان بن عفان ﷺ اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي بن أبي طالب ﷺ أربع سنين وتسعة أشهر، فاذا اضيف اليها مدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما وهي ستة أشهر، فتصير ثلاثين سنة .

قول النبي ﷺ في الحديث الشريف: «الْخِلاَفَةُ فِي أُمّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمّ تكون مُلكًا» يعد معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر فيه عن الغيب خبرًا دقيقًا، حيث حدد الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم بأن مدتها ٣٠ سنة، ولم يسكت عند ذلك، بل قال: «ثُمّ تكون مُلكًا» وفي رواية أخرى: « ثُمّ تكون مُلكًا عضوضًا».

---

[1] ـ صحيح ابن حبان ١٥ / ٢٩٢ برقم ٦٩٤٣ و سنن الترمذي ٤ / ٥٠٢ برقم ٢٢٢٦ بنفس السند وبلفظ
(الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملكاً بعد ذلك)

إنَّ الخِلافة الرَّاشِدَة أو خلافة النبوة هي التي قامت عَقِب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي الدولةُ التي كانت تعتمد الشورى في نظامها، وقد توالى على حكم الدولة الإسلامية أربعة خُلفاء من كِبار الصحابة، وجميعهم من العشرة المبشرين بالجنَّة؛ وهم: أبو بكر الصدّيق وعُمر بن الخطَّاب وعُثمان بن عفَّان وعليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ومدة خلافة هؤلاء الأربعة في مجملها ثلاثون سنة وتفصيلها كالآتي:

أبو بكر سنتان وثلاثة أشهر، وعمر عشر سنوات و٦ شهور، وعثمان إحدى عشرة سنة و١١ شهر و٩ أيام، وعلي ٤ سنوات و٩ أشهر و٧ أيام، وهذه المدة ٢٩ سنة و٦ أشهر و ٤ أيام، وتتبقى ٦ أشهر؛ وهي المدة التي وليها الحسن بن علي رضي الله عنه وتنازل بعد ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان، ويعدّ البعض عهده القصير في الحكم مُتممًا لعهد الأربعة الذين سبقوه، وبذلك تكون مدة الخلافة ٣٠ سنة و ٤ أيام.

وأكد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم هو مَن أخبر بمدة كل خليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم مِن بعد خلافتهم وهي مدة ٣٠ سنة سيكون الملك؛ وهذا ما حدث بالفعل؛ لأن معاوية بن أبي سفيان بعد هذه المدة تسلم الحكم، موضحًا أن الجميع متفق على أن من جاء بعد الخلفاء الراشدين إن سمي خليفة

أو أمير المؤمنين فهو من باب المجاز؛ لأن الحديث الشريف ينص على أنه ملك؛ وأن الخلافة الراشدة انتهت بعد الثلاثين عاما، التي حددها النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت هي النظام الإسلامي الحقيقي، ثم بعد ذلك اختلف نظام الحكم وتفاوت الحكام في العدل .

۞ تفشي الربا في الناس

عن أبي هريرة رضي الله أن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال :

﴿﴿ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا فان لم يأكله أصابه من غباره ﴾﴾[1]

ان المرض اذا استشرى يصيب الجميع ويتعدى اذاه المرضى ليعم الجميع ، وكذا الحرائق اذا امتدت وتوسعت اصاب ضررها كل من حولها حتى وان ابتعد .

ان الأموال والتعاملات الاقتصادية هي اساس العلاقة بين البشر كأفراد او مجتمعات او دول ، فاذا فسد النظام النقدي او اسس التعامل الاقتصادي انتقل ضرر هذا الفساد الى كل نواحي الحياة .

والأموال إذا داخلها الكسب الخبيث أصاب المتعاملين بها بيعاً وشراءً وأخذاً وعطاءً شيءٌ من خبثها وسحتها، فكيف إذا كان مبنى الاقتصاد على الكسب الخبيث وفق النظريات الاقتصادية القائمة على التبادلات الربوية بنيت على الحرية المطلقة في التعامل المالي ، على اساس أن الغاية تبرر الوسيلة .

---

[1] – المستدرك على الصحيحين في البيوع ٢/١٣ برقم ٢١٦٢ .
وسنن البيهقي الكبرى في البيوع باب ما جاء من التشديد في تحريم الربا ٥/٢٧٥ برقم ١٠٢٥٢ . ومسند أحمد ٢/٤٩٤ برقم ١٠٤١٥

وقد سادت هذه المعاملات الربوية وانتشرت وشملت حتى ما يسمى بالمصارف والبنوك الاسلامية ، وبأكثر الدول الاسلامية .

فعلى المستوى المحلي من احتاج لجأ مضطرا الى المصارف الربوية وتعامل بالربا .

وحتى من حاول الاحتراز يصيبُه رذاذ وغبارُ المال الحرام مصداقاً للحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابُه من غباره» أخرجه أهل السنن إلا الترمذي وصححه الذهبي .

اما المعاملاتِ المالية العالمية في عصر التقدم والحضارة صارت منغمسة في أنواع الربا والكسب الخبيث، الذي غطى جميع أنواع الكسب والاتجار، ومن احترز اصابه غبار الأموال الربوية مما ادى الى نزع البركات، وحلول العقوبات ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ {البقرة:٢٧٦ }، وفي الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُل» أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، والواقعُ يشهد لهذه الحقيقة التي قررتها نصوصُ الشريعة.

ونزعُ البركات يتجلى في شكوى الكثير سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الأمم .

فرغم التطور الميكانيكي ورغم مكننة كل ادوات الزراعة ، ورغم استغلالِ ثروات الأرض، وتنوع الزراعات والصناعات، والتي قادت الى زيادة الانتاج حتى تضاعف مئات المرات عما كان عليه قبلاً ؛ حتى صارت أرقامُ الإنتاج الزراعي والصناعي أرقاماً عالية، إلا أن أكثر سكانِ الأرض يعيشون فقراً، ولا يجدون كفافاً. وفي كلِ يوم يزداد الفقر وينتشر الجوع أكثر ، حتى صارت اعدادا كبيرة من الناس تموت جوعا او مرضاً نتيجة الجوع او سوء التغذية ، ويظل التساؤل اين يذهب فائض الانتاج في الزراعة .

وعلى مستوى الافراد والعوائل فكلما ازدادت المدخولات ونمت ازدادت احتياجات الناس وازداد شعورهم بالفقر .

هذا من حيث رفع البركة .

وأما حلولُ العقوبات:

فإن العقوبات المحسوسة المشاهدة التي يعاني منها البشر في عصر الربا من التنوع والكثرة بما لا يُعد، وهناك عقوباتٌ معنوية لا يحس بها أكثر الناس، ومنها: استعبادُ المادة للإنسان بحيث تحولت من كونها وسيلة لراحته وهنائه إلى غاية ينصب في تحصيلها، ثم يشقى بحفظها، ويخشى فواتها، حتى صارت عقوبة وهمّ مضاف .

إن الإنسان في العصر الرأسمالي الذي أساسُه الربا يريد الاستغناءَ بالأشياء، فإذا ما استغنى بها سيطر عليه هاجسُ زوالها، بينما كان في السابق يستغني عما لا يستطيع تحصيله، ويقنعُ بما كتب له؛ فيرتاح باله، وتطمئن نفسه.

إن سيطرة المادة على الناس، وخوفَ الفقر والحاجة، وانعدام القناعة التي سادت في عصر الربا والرأسمالية ، هي عقوبات وعذابٌ يتألم الناس من جرائها ، وكل ذلك يحدث مع انتشار الربا، حتى أصبح الفقير يريد الغنى، والغنيُ يريد أن يكون أكثر ثراء، والأكثرُ ثراءً يريد السيطرة على أسواق المال في سلسلة لا تنتهي من الجشع وحبِّ الذات، وكراهية المنافسين. وصار في الناس مستورون لا يقنعون، وأغنياء لا يحسنون ولا يتصدقون إلا من رحم الله تعالى.

لقد اصبح واضحا انه كلما ازداد التعامل بالربا وتفشى ، وارتبط اكثر بالمعاملات المالية المبنية على الفكر الربوي فسيزداد الفقر والجوع ، وسيزداد تكدس الأموال في خزائن الاغنياء الذين يقتلهم خوفهم من الفقر ، حتى اصبح الفقر قاتل الفقراء وهمّ الاغنياء فلا تجد ذو نفس مطمئنة او ذو قلب خالٍ من الهم .

وما حطم قيمة الأوراق النقدية، وقضى على أسعار العملات إلا الربا الذي يقوم عبره عصابةٌ من كبار المرابين بضخ المالِ في عملة من العملات ثم سحبه

لتنحدر قيمتُها من القمة إلى الحضيض فيصيب الفقرُ شعوباً وأمماً لا تملك غير عملتها التي أصبحت لا تساوي شيئاً.

إن المتخصصين في الاقتصاد يقررون أن النقود هي دماءُ الاقتصاد، والنقودُ السليمة هي التي تجعلُ الاقتصاد سليماً؛ و نقودَ العالم اليوم مريضة بالتضخم الناتج عن الربا، ولا يمكن علاجها إلا بمعالجة التضخم، ولن يعالجَ إلا بإلغاء فوائد الربا ، ويكشف هذه الحقيقة عالم من علماء الاقتصاد في البلاد الغربية فيقول: «كلما ارتفعت الفائدة تدهور النقد، فكما يؤدي الماء إلى رداءة عصير البرتقال أو الحليب تؤدي الفائدة إلى رداءة النقود، قد يبدو الأمر أننا نسوقُ تعبيراتٍ أدبية أو أننا نبسطُ المسألة ونسطحها؛ ولكن الحقيقةَ أن هذه العبارة السهلة البسيطة هي في الواقع معادلةٌ سليمةٌ وصحيحة تدل عليها التجربة ويمكن إثباتها، فالفائدة العالية تُدمِّر قيمة النقود، وتنسف أيَّ نظامٍ نقدي مادامت تزيدُ كل يوم، وتتوقفُ سرعةُ التدمير وحجمُه على مقدارِ الفائدة ومدتها» .

وهذا ما تؤكده التداعيات الاقتصادية التي دمّرت عملات دولِ الشرق والكثير من اقتصادات الدول النامية

وهكذا صارت عاقبة الربا خراب ، وما هذا إلا صورةٌ من صورِ المحق التي يسببها الربا لأموال المتعاملين به

وبسببِ انتشاره في التعاملاتِ المالية أصبحت البورصات العالمية وكأنها صالةُ قمار واسعة، ليس الأمرُ فيها يتصل بالمقامراتِ غير المحسوبة فحسب، وإنما هناك من يبيع دائماً ما لا يملك، ومن يشتري من دون أن يدفع ثمناً، ومن يتظاهر بأن هناك أسهماً لشركات وما هي في الواقع بشركات، ومن يقيد بالدفاتر ملياراتٍ كبيرة دون أن يراها، ودون أن يقابلها رصيدٌ من أي نوع. إنها الفائدة المسؤولة عن المصائبِ الكبرى في النظام النقدي العالمي، وهي المسؤولة عن التضخم، وهي المسؤولة عن ضياع الأموال وعن عجز دفع المدينين ديونهم ، فمتى يدركُ اصحاب المال المشتغلون بالربا أن نار الربا التي يكتوي بها المقترضون عائدةٌ عليهم بعد انتهائها منهم في يوم من الأيام ليصطلوا بها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦].

ويبقى حديث رسول الله ﷺ : "يأتي زمان على أمتي من لم يأكل الربا نال من غباره" ؟ للتحذير من الربا او من الاقتراب منه ، ولنعلم أن أكل الربا سبب للعنة وسبب لعدم استجابة الدعاء، وسبب لحرمان الإنسان من التوفيق للطاعات وسبب لحرب الله ورسوله، هذه أربعة أمور تترتب على أكل الربا. فالذي يأكل الربا ملعونٌ على لسان مُحَّد صلى الله عليه وسلم، وكذلك موكله فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه"، وقال: "هم سواء"، وكذلك أكل الربا سبب لعدم استجابة الدعاء، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟"، وكذلك هو سببٌ لعدم التوفيق في الطاعات لقول الله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: ٢٧٥]، فهم بمثابة المجانين، تصرفاتهم غير منضبطة.

وقد اختلف أهل التفسير في تفسير هذه الآية فمنهم من يقول : يقومون من المحشر أي عندما يحشرون من قبورهم يقومون يتخبطون كالمجانين، وتلك عقوبة أخروية، وقالت طائفة : بل تصرفاتهم في الدنيا كذلك، الذين يأكلون الربا في الدنيا لا يقومون في أمورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس،

ونحن نشاهد هذا كثيراً، فتصرفات أهل الربا كثيراً ما تأتي عليهم بالوبال، فالربا في البداية ينفق السلعة، ثم بعد ذلك يمحقها، ثم بعد ذلك يحرق صاحبها، وكم من إنسان كان من أهل الثروة والغنى ولكنه اشتغل بالربا فمحق الربا ماله وأهلكه ولم يبق معه إلا الندم حيث لا ينفع الندم.

فصار لزاماً الحذر من الربا ومن التعامل به بصغار المبالغ او كبيرها الا من كان يظن انه قادر على حرب الله وحرب رسوله .

فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} فهذا صريحٌ في التهديد بحرب من الله ورسوله لمن لم ينته عن أكل الربا، وهذه الحرب قطعاً لا يمكن أن يقوم لها أحد من البشر، لا أحد من البشر يستطيع القيام لحرب من الله ورسوله، ثم بعد هذا لا بد أن نعلم كذلك أن الله تعالى هو الذي يهب المال ويعطيه، وقد توعد بمحق الربا: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}، وهذا المحق وعيد من الله سبحانه وتعالى بصيغة الخبر، أي أن الأمر قد حسم وقضي، فهو من عمل الأمس ليس من عمل الغد، يمحق الله الربا، هذا أمر متقرر قد رفعت الأقلام فيه وجفت

الصحف، فالربا ممحوق يمحقه الله، وهذا يقتضي أن من يريد الربح من الربا غير رابح قطعاً، لا يمكن أن يربح،

ثم من اراد ان يستبرئ لدينه فعليه ان يحذر فالربا اشكاله كثيرة ومتنوعة ، ولا يحصيها الا من تفقه او احتاج .

۞ فتح بلاد العرب وفارس

من حديث جابر بن سمرة ﵁ أن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال :

﴿﴿ تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ، ثم فارس فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله ﴾﴾ [1]

وتحقق بفضل الله ما كان شبه مستحيل ، ففتحت بلاد العرب وانتشر الإسلام في كل ربوعها ، وأبدلها الله خيراً مما كانت تعبد قبل الإسلام ، وحتى أكثر المسلمين تفاؤلاً ما كان ليحلم بذلك ، ولا كان ليحلم بأن يمتد سلطان القبائل العربية المتناثرة والمتناحرة رعاء ألبهم ، ليشمل دولة فارس وارض الروم ، أقطاب الأرض بسلطانهم الواسع وجيوشهم المنظمة والمدججة بأنواع السلاح، والذين كانت اغلب قبائل العرب تبعاً لهم وتسعى لإرضائهم .

لكن المصطفى ﷺ قالها فصدقتها القلوب وآمنت بها العقول فهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

[1] – مسلم كتاب الفتن واشراط الساعة باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ٤/٢٢٢٥ برقم ٢٩٠٠ ، وسنن ابن ماجه في الفتن باب الملاحم ٢/١٣٧٠ برقم ٤٠٩١

۞ نار من قعر عدن

عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال : اطلع علينا رسول الله ﷺ من غرفة له ونحن نتذاكر الساعة ، فقال :

﴿﴿ لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات :

ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر ، تنزل معهم إذا نزلوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ﴾﴾ [١]

لم يكن أحد يعرف في الماضي أن مدينة عدن فوق فوهة بركان حتى جاء الإنجليز ومع بداية عصر الطيران ظهرت مدينة عدن كمدينة مقعرة السطح فسماها الإنجليز مدينة فوهة البركان kraytar .

وهنا يتضح الإعجاز في قوله صلى الله عليه واله وسلم (قعر عدن) ...

أخبر رسول الله أن عدن مدينة مقعرة الشكل وهذا لم يتضح إلا بالتصوير عن بعد بالطيران . .

---

[١]- سنن ابن ماجة كتاب الفتن باب الآيات و الاحاديث برقم ٤٠٥٢ / ٤١٦٥
ومسند الامام أحمد حديث عقبة بن الحرث ٤ / ٧ برقم ١٦١٨٨ وفتح الباري باب المحشر ١١ / ٣٧٨ برقم ٣٨١ .
ومجمع الزوائد باب في امارات الساعة ٧ / ٣٢٨

ولقد قامت البعثة الملكية البريطانية لعلوم البراكين خلال عام ١٩٦٤م بدراسة بركان عدن الخامد بقيادة البروفيسور...I.G.Gass الذي بدأ ورقته العلمية بقوله (إن البراكين الحالية ما هي إلا ألعاب نارية أمام بركان عدن

وفى مقال بمجلة ١٩٧٩ Readers Digest يقول الكاتب :

بركان كراكاتو في إندونيسيا (Krakatau volcano)الذي انفجر عام ١٨٨٣م والذي اعتبروه العلماء أقوي بركان في ذاكرة البشرية.. وتسبب في مقتل ستة وثلاثون ألف شخص وسمع الناس دوي الانفجار علي بعد مسافة خمسة ألاف كيلومتر, وحجب الرماد والدخان البركاني ضوء الشمس لمدة أسبوع عن الكرة الأرضية. ولقد قدر العلماء قوة هذا البركان بمائة قنبلة هيدروجينية...... وينتهي المؤلف إلي أن هذا البركان الضخم يعتبر مثل الألعاب النارية مقارنة ببركان عدن .

فما الذى جعل مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام يختار هذا البركان الخامل .. ليجعله من علامات الساعة الكبرى؟

ثم يأتى العلماء بعد ذلك ليثبتوا أنه أعظم وأقوى بركان في العالم رغم خموله

۞ الغزو بحراً واستشهاد الصحابية ام حرام

﴿﴿ عن أنس ﷺ قال : دخل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على ابنة ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك فقالت لِمَ تضحك يا رسول الله فقال ناس من امتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة فقالت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال اللهم اجعلها منهم .

ثم عاد فضحك فقالت له مثل أو مم ذلك فقال لها مثل ذلك .

فقالت : ادع الله ان يجعلني منهم

قال : انت من الأولين ولست من الآخرين ﴾﴾ [1]

وكما وردت بصيغة مقاربة من حديث اسحاق بن عبد الله عن انس قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يدخل على ام حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها يوماً فأطعمته وجعلت تفلي رأسه صلى الله عليه واله وسلم ثم استيقظ وهو يضحك فقالت ما يضحكك يا رسول الله قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا

[1] صحيح البخاري ٢ / ١٠٥٥ برقم ٢٧٢٢

البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرّة (شك اسحاق) فقلت ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم .

ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت ما يضحكك يا رسول الله فقال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال في الأولى ، فقلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال : أنت في الأولى) [1]

كانت ﵂ قد نذرت نفسها للجهاد وتمنت الشهادة .

ورد عنها ﵂ انها سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول :

(اول جيش من امتي يغزون البحر قد أوجبوا ، قالت ام حرام قلت يا رسول الله انا فيهم ؟ قال : انت فيهم) [2]

(كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يكرمها ويزورها في بيتها، ويقيل عندها، وأخبرها أنها شهيدة) [3]

ولم تكن العرب حينها يعرفون البحر ولم تكن لهم سفن تبحر به .

---

[1] صحيح البخاري ٦ / ٦٦٠ برقم ٢٥٧٠ و صحيح مسلم ٣ / ١٥١٨ برقم ١٩١٢

[2] صحيح البخاري ٣ / ١٠٦٩ برقم ٢٧٦٦

[3] أسد الغابة ٧ / ٣٠٤

وتمضي السنين ، وتحمل في طياتها صدق حديث النبي الكريم صلى الله عليه واله وسلم ويتحقق ما اخبر به رسول الله ويتوجه جيش من المسلمين يركبون البحر ميممين صوب جزيرة قبرص ومعهم ام حرام .

ركبت ام حرام البحر ، فلما رجعوا قُرِّبت لها بغلة لتركبها فصرعتها فدقت عنقها وماتت ﵂ ودفنت في جزيرة قبرص .

(وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص فدُفنت فيها ، وكان امير الجيش معاوية بن ابي سفيان في خلافة عثمان سنة سبع وعشرين) [1]

مكث المسلمون بقبرص وقتاً نقلوا هناك تعاليم الإسلام ويبينوا للناس ان الإسلام جاء مكملاً للرسالات السماوية السابقة ومتمماً لرسالة ابراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

وحين حان وقت الرجوع توجه الجيش الى شاطئ البحر ليعود الى موطنه بعد ان خلّفوا في قبرص نوراً وتعاليم دين يهدي الى الخير ودعوة لمن شاء ان يستقيم ويهتدي .

كان الجيش بقيادة معاوية بن ابي سفيان في خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁

---

[1] أسد الغابة ٧ / ٣٠٤

بعض الروايات تشير إلى انها وقعت من بغلة ودفنت في البقعة التي بنيت عليها مسجد لارنكا الكبير ويعرف باسم قبر المرأة الصالحة.

۞ فتح القسطنطينية

قال عبد الله بن بشر الغنوي ، حدثني أبي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول :

﴿﴿ لتفتحن القسطنطينية ، ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش ﴾﴾ [1]

و مدينة (القسطنطينية) او بيزنطة او إسلام بول أي دار الإسلام كما سماها مُحَمَّد الفاتح حين فتحها ثم حُرّفت بعد ذلك واشتهرت باسم استانبول والتي تغيرت بعد ذلك لتصبح اسطنبول والأسِتانة

تُعد إسطنبول أكبر المدن في تركيا وهي خامس أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان حيث يسكنها ١٢.٨ ملايين نسمة ويُنظر إليها على أنها مركز تركيا الثقافي والاقتصادي والمالي .

كانت هذه المدينة عاصمةً لعدد من الدول والإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل، فكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية ثم عاصمة للإمبراطورية البيزنطية كما اصبحت عاصمة الدولة العثمانية بعد فتحها .

---

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب الفتن والملاحم برقم : ٨٣٦٣
ومسند الامام أحمد ـ حديث عبد الرحمن بن يعلى ٤ / ٣٣٥ برقم ١٨٩٧٧

وهي المدينة الوحيدة في العالم التي تقع على قارتين حيث تمتد المدينة على طول الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور والجانب الآسيوي من مضيق البوسفور، المعروف باسم الأناضول، وقد فتحها (مُحَّد ابن السلطان مراد الثاني) عام ٨٢٧ ه الموافق ١٤٥٣م ، ثامن سلاطين الدولة العثمانية والذي لقب بعدها بمحمد الفاتح .

وظل فتح القسطنطينية حلم يداعب خيال الفاتحين المسلمين ثمانية قرون كاملة، وجرت محاولات عديدة لفتحها لكنها لم تتم وذلك منذ عهد معاوية بن أبى سفيان ، كلهم كان يود أن يكون هو صاحب البشارة النبوية التي بشر بها النبي صلى الله عليه واله وسلم بقوله : (لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش)

وبائت كل محاولات الخلفاء والقادة المسلمين بفتحها بالفشل لمناعة اسوارها وصعوبة الوصول اليها ، ورغم ذلك كان الجميع على ثقة بأنها ستفتح لأن الحبيب المصطفى وعَدَ بفتحها ... فلابد ان تفتح لأن الصادق الأمين وعدَ بذلك .

ويولد (مُحَّد) ابن السلطان (مراد الثاني) في (٢٧من رجب ٨٣٥ ه الموافق ٣٠ من مارس ١٤٣٢م) ، ونشأ تحت رعاية أبيه السلطان "مراد الثاني" سابع

سلاطين الدولة العثمانية الذي عمل على تعليمه وإعداده ليكون جديرًا بمنصب السلطان ، والقيام بمسئوليته ، فأتم (مُحَمَّد الفاتح) حفظ القرآن ، وقرأ الحديث النبوي ، وتعلم الفقه الإسلامي. ودرس الرياضيات والفلك وفنون الحرب والقتال ، وإلى جانب ذلك تعلم اللغات العربية والفارسية واللاتينية واليونانية ، وخرج مع أبيه في معاركه وفتوحاته.

وبعد تولي مُحَمَّد الفاتح الحكم بدأ يخطط لفتح القسطنطينية ...وكانت الخطوة الأولى في تحقيق هذا الحلم هو السيطرة على مضيق البسفور حتى يمنع وصول أية مساعدات من أوروبا ، فبنى قلعة كبيرة على الشاطئ الأوروبي من مضيق (البسفور) ، واشترك هو بنفسه مع كبار رجال الدولة في أعمال البناء، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى تم بناء القلعة التي عرفت بقلعة (الروم) ، وفى مواجهتها على الضفة الأخرى من البسفور كانت تقف قلعة الأناضول ، ولم يعد ممكنًا لأي سفينة أن تمر دون إذن من القوات العثمانية.

وفى أثناء ذلك نجح مهندس نابغة أن يصنع للسلطان مُحَمَّد الفاتح عددًا من المدافع ، من بينها مدفع ضخم عملاق لم يُرَ مثله من قبل ، كان يزن (٧٠٠) طن، وتزن القذيفة الواحدة (١٥٠٠) كيلو جرام، وتسمع طلقاته من مسافات

بعيدة ، ويجره مائة ثور يساعدها مائة من الرجال الأشداء وأطلق على هذا المدفع العملاق اسم المدفع السلطاني.

وبعد أن أتم السلطان "مُحَمَّد" استعداداته زحف بجيشه البالغ (٢٦٥) ألف مقاتل من المشاة الفرسان ومعهم المدافع الضخمة حتى فرض حصاره حول القسطنطينية) ، وبدأت المدافع العثمانية تطلق قذائفها على أسوار المدينة الحصينة دون انقطاع ليلاً أو نهارًا ، وكان السلطان يفاجئ عدوه من وقت لآخر بخطة جديدة في فنون القتال حتى تحطمت أعصاب المدافعين عن المدينة وانهارت قواهم .

وفى فجر يوم الثلاثاء الموافق (٢٠من جمادى الأولى ٨٢٧ هـ الموافق ٢٩ من مايو ١٤٥٣ م) نجحت القوات العثمانية من اقتحام الأسوار ، وزحزحة المدافعين عنها بعد أن عجزوا عن الثبات ، واضطروا للهرب والفرار ، وفوجئ أهالي "القسطنطينية" بأعلام العثمانيين ترفرف على الأسوار ، وبالجنود تتدفق إلى داخل المدينة كالسيل المتدفق .

وافتتح أول مسجد للصلاة في القسطنطينية ، وسجد المسلمون شكراً لله ، وتحقق ما وعد به النبي الصادق .

۞ بلوى تصيب عثمان

عن أبي موسى الاشعري ﷺ قال:

(﴿﴿ توضأت في بيتي ثم خرجت فقلت: لأكونن اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت المسجد فسألت عنه فقالوا: خرج وتوجه هاهنا، فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس، وما بها من جريد، فمكثت عند بابها حتى علمت أن النبي ﷺ قد قضى حاجته وجلس، فجئته فسلمت عليه، فإذا هو قد جلس على قف بئر أريس فتوسطه ثم دلى رجليه في البئر وكشف عن ساقيه، فرجعت إلى الباب وقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ ، فلم أنشب أن دق الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر، قلت: على رسلك، وذهبت إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، قال: فخرجت مسرعًا حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم يبشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جلس إلى جنب النبي صلى الله عليه واله وسلم في القف على يمينه ودلى رجليه وكشف عن ساقيه كما صنع النبي صلى الله عليه واله وسلم. قال: ثم رجعت وقد كنت تركت أخي يتوضأ، وقد كان قال لي: أنا على إثرك، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به.

قال: فسمعت تحريك الباب فقلت: من هذا؟ قال: عمر، قلت: على رسلك، قال: وجئت النبي صلى الله عليه واله وسلم فسلمت عليه وأخبرته، فقال: ائذن له وبشّره بالجنة، قال: فجئت وأذنت له وقلت له: رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يبشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جلس مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على يساره وكشف عن ساقيه ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي صلى الله عليه واله وسلم وأبو بكر، قال: ثم رجعت فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، يريد أخاه، فإذا تحريك الباب، فقلت: من؟ قال: عثمان بن عفان، قلت: على رسلك، وذهبت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذا عثمان يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، قال: فجئت فقلت: رسول الله ﷺ يأذن لك ويبشرك بالجنة على بلوى أو بلاء يصيبك، فدخل فلم يجد في القف مجلسًا فجلس وجاههم من شق البئر وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ﴾﴾ [1]

[1] صحيح البخاري ٣ / ١٣٤٣ برقم ٣٤٧٠ ومسلم ٤ / ١٨٦٨ برقم ٢٤٠٣

وتمضي السنين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتنتقل الخلافة الى الخليفة الثالث امير المؤمنين عثمان بعد عفان ولم يكن يلوح في الأفق ان بلوى تنتظر خليفة رسول الله فكل ما حوله ينبيء بسكينة واستقرار وأمن ... لكن رؤية رسول الله وكلامه أصدق مما تراه العيون وتحسه القلوب ... فما كان أمناً او تصورناه ينقلب فوضى ويفقد المجتمع أمنه واستقراره وتصيب البلوى خليفة رسول الله فيُضرب وهو يقرأ القران وتدمى لحيته الكريمة وتتناوله السيوف طعناً وقتلاً .

وينتقل عثمان الى ربه شهيداً بعد بلوى اصابته وكما أنبأ الصادق الأمين صلى الله عليه واله وسلم .

۞ قتال الزبير لعلي رضي الله عنهما

لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي ﷺ وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام؛ فإني علي، فدُعي له الزبير، فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما، فقال علي :

﴿﴿يا زبير أنشدتك بالله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ونحن في مكان كذا وكذا؟ فقال: يا زبير تحب عليًا؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني فقال: يا علي أتحبه؟ فقلت: يا رسول الله، ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني فقال: يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم قال: بلى، والله لقد نسيته منذ سمعته من قول رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك .فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال: مالك؟ فقال: ذكرني علي حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سمعته يقول : لتقاتلنه وأنت له ظالم .﴾﴾ [1]

---

[1] البيهقي في الدلائل ٦ / ٤١٤ و ابن ابي شيبة ١٥ / ٢٨٢ و معمر في جامعه ١١ / ٢٤١

۞ خروج المبير من ثقيف

عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال :

﴿﴿ إنّ في ثقيف كذاب ومبير ﴾﴾[1]

أي يخرج من قبيلة ثقيف كذاب ومبير فلمَّا قتلَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ دخلَ الحجَّاجُ على أسماءَ بنتِ أبي بَكْرٍ ، فقالَ لَها: يا أمَّة ، إنَّ أميرَ المؤمنينَ أوصاني بِكِ ، فَهَل لَكِ من حاجةٍ ؟

فقالت: لستُ لَكَ بأمٍّ ولَكِنِّي أمُّ المصلوبِ على رأسِ الثَّنيَّةِ ، وما لي مِن حاجةٍ ، ولَكِنِ انتظر حتَّى أحدِّثَكَ بما سَمِعْتُ منَ رسولِ اللَّهِ ، سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : يخرجُ من ثقيفٍ كذَّابٌ ومبيرٌ ، فأمَّا الكذَّابُ فقد رَأيناهُ – تقصد المختار بن أبي عبيد الثقفي – ، وأمَّا المبيرُ فأنتَ .

والمبير : هو الظالم الذي يسفك الدماء ويقتل الناس .

---

[1] مسند الامام احمد ٢ / ٨٧ برقم ٥٦٠٧ و سنن الترمذي ٤ / ٤٩٩

۞ مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما

عن ابي سعيد الخدري ﷺ ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال لعمار :

﴿﴿ تقتلك الفئة الباغية ﴾﴾ [1]

وقد قُتل عمار في معركة صفين حين كان يقاتل في جيش الامام علي بن ابي طالب وقد قتله جيش معاوية بن ابي سفيان . .. وكان ذلك كما اخبر به رسول الله صلى الله عليه واله وسلم .

[1] مسند الامام احمد ٣ / ٢٢ برقم ١١١٨٢ وصحيح ابن حبان ١٥ / ١٣١ برقم ٦٧٣٥ و سنن الترمذي ٥ / ٦٦٩ برقم ٣٨٠ برواية ابو هريرة بنص (ابشر عمار تقتلك الفئة الباغية)

الشهيدة

هي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية .

وهي مشهورة بكنيتها ام ورقة بنت عبد الله ، وقد يقال لها ام ورقة بنت نوفل نسبة الى جدها الأعلى .

وهي من كرائم نساء عصرها وأفاضلهن ، لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويلقبها بالشهيدة .

أسلمت قديماً وبايعت رضي الله عنها .

كانت تجمع القران فور نزوله ، وتحفظ ما نزل حتى سميت القارئة .

كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يزورها في بيتها ، ويقول لصحابته

«« انطلقوا بنا نزور الشهيدة »» [١]

سبب تسميتها بالشهيدة :

روت ام ورقة سبب تسميتها بالشهيدة فقالت :

(ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما غزا بدرا قلت يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقني شهادة .

---

[١] مسند الامام احمد ٦ / ٤٠٥ برقم ٢٧٣٢٣

قال لي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : **قرّي في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة)** [1]

فكانت تسمى الشهيدة .

وأم ورقة اول امرأة سألت رسول الله ﷺ الخروج مع جيش المسلمين .

وقد أمرها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان تصلي في بيتها .

وقد استأذنت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان يجعل لها مؤذناً في بيتها يؤذن للصلاة ويعلمها بأوقاتها فجعل لها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مؤذناً شيخاً كبيراً .

عن عبد الرحمن بن خلاد (كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يزورها في بيتها وجعل لها مؤذناً يؤذن لها وأمرها ان تؤم أهل دارها ، قال عبد الرحمن فأنا رأيت مؤذنها وكان شيخاً كبيرا) [2]

وأذن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان تؤم اهل دارها في الصلاة وان تؤم نساء الأنصار والمهاجرات في صلاة الجماعة .

---

[1] سنن ابي داود ١ / ١٦١ برقم ٥٩١

[2] سنن ابي داود ١ / ١٦١ برقم ٥٩٢

فأصبح بيت ام ورقة بيت من بيوت الله تقام فيه صلاة الجماعة ويؤذن فيه خمس مرات كل يوم.

وفي السنة الحادية عشر للهجرة ينتقل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الى جوار ربه ، ولم ترزق ام ورقة بالشهادة ، لكنها كانت على يقين بأنها ستستشهد في سبيل الله تعالى ، فهو وعدُ صِدقٍ من نبي صادق .

وحان أوان الشهادة :

وظلت ام ورقة تقرأ القرآن وتؤم النساء في صلاة الجماعة ، وظل بيتها بيت من بيوت الله يؤذن فيه للصلاة خمس مرات في اليوم .

كانت ام ورقة تقرأ القرآن كل ليلة ، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يسكن جنبها فكان يأنس كل ليلة لسماع قراءتها للقرآن .

وذات ليلة لم يسمع عمر ﷺ قراءتها ليلاً فقال في الصباح والله ما سمعت قراءة خالتي ام ورقة البارحة .

فذهب ﷺ الى بيتها ليتحرى خبرها ، فلما دخل الدار وجدها ملفوفة بقطيفة بجنب الدار وقد قتلت فقال ﷺ صدق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين كان يقول :

(انطلقوا بنا نزور الشهيدة) [1]

وتحرى عمر ﵁ الأمر فعلم ان من قتلا ام ورقة هما عبد وجارية كانا عندها ، وكانت ام ورقة قد اعطتهما حريتهما بعد موتها ، فاستعجلا ذلك اليوم فغمياها وقتلاها ثم لفاها بقطيفة ووليا هاربين .

(وكانت ام ورقة دبرت غلاما لها وجارية فقاما اليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا ، فأصبح عمر فقام في الناس فقال من كان عنده من هذين علم او من رآهما فليجيء بهما ، فأمر بهما فصلبا ، فكانا اول من صلب بالمدينة) [2]

ومضت ام ورقة ﵂ الى ربها وقد قرت عينها بما وعدها به رسول الله صلى الله عليه واله وسلم .

وقد صدق ﷺ فيما وعد به فهو لا ينطق الا صدقاً وحقا .

---

[1] اسد الغابة ٧ / ٣٩٦

[2] سنن ابي داود ١ / ١٦١ برقم ٥٩١

۞ تقارب الزمان وظهور الهرج

عن ابي هريرة ان رسول الله قال :

﴿ يتقارب الزمان ، ويَنقُصُ العمل ، ويُلقى الشحُّ ، وتظهر الفتن ويكثر الهَرْجُ .

قالوا يا رسول الله : أَيُّمَ هُوَ ؟

القتلُ القتلُ ﴾[1]

اشتمل الحديث على أمور عدة أخبر النبي ﷺ انها ستحدث في المستقبل .

((يتقارب الزمان)):

وتقارب الزمان يحتمل فهمه اتجاهات واحتمالات ، وقد قيل فيه الكثير .

فمما قيل فيه: ان التقارب بمعنى التسارع

فالزمان يتسارع ، بسبب الغفلة غفلة الناس تسرع الأيام، وتذهب بسرعة ينشغل الناس باللذات التي توفرت وتعددت اشكالها واصبحت بمتناول الجميع والوصول اليها متيسر وسهل . وذلك كله من تزيين الشيطان فتمر السنة كأنها

[1] البخاري كتاب الفتن باب ظهور الفتن ٤ / ٣٥٩ برقم ٧٠٦١

شهر ، والشهر كأنه أسبوع ، والاسبوع كأنه يوم ، واليوم كأنه ساعة ، والناس منشغلون في اللذات واللهو والجري خلف الشهوات .

ومعلوم ان احساس الانسان بالزمن متغير ، فأحيانا نحسُّ بالزمن والوقت يجري سريعاً ، واحياناً نشعر بأن الزمن قد تباطأ واصبح ثقيلاً . الاحساس بالزمن والوقت غير ثابت .

وقيل في معنى (تقارب الزمان) هو كناية عن المواصلات الحديثة وسرعة الوصول وتيسر التنقل من مكان لآخر .

فما كان الناس يقطعونه بشهر اصبحوا يقطعونه بساعات ، والمدن البعيدة صار بلوغها بساعات بعد ان كان الوصول اليها يستغرق زمنا .

وقيل ان تقارب الزمان تلميح لِقِصَرِ اعمار الناس .

ونقل ابن التين عن الداودي : أن المعنى : أن ساعات النهار تقصر قرب قيام الساعة ،

ويقرب النهار من الليل ، وفي مسند أحمد (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ،:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :

« لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعْفَةِ الْخُوصَةُ »

وقال النووي: قد يكون المراد بقصره عدم البركة فيه ،وأن اليوم مثلا يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة ، فالبركة في الزمان وفي الرزق وفي النبت إنما تكون من طريق قوة الإيمان واتباع الأمر واجتناب النهي ، والشاهد على ذلك ، قوله تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٩٦) الأعراف

وقال الطحاوي : (يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ) أي : تقارب أحوالهم في الشر ،والفساد والجهل ؛ ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان، لظهور الأمور المخالفة للشرع

وقال البيضاوي : يحتمل أن يكون المراد (يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ) أي تسارع الدول إلى الانقضاء والقرون إلى الانقراض فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم

(وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ) ، والمقصود بنقص العمل ، هو العمل بدين الله وشرعه ، والانغماس في أعمال الدنيا وترك أعمال الآخرة ، وتلك هي الغفلة وهذا هو الخسران المبين .

قال الله تعالى :

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (١٨-٢١) الاسراء

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (وَيُلْقَى الشُّحُّ) ، فالشح : هو الإمساك ، والتقتير ، والبخل ، وعدم الانفاق ، والحرمان ،

وقوله صلى الله عليه وسلم: (وَيُلْقَى الشُّحُّ) ، فالمراد : إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم ،حتى يبخل العالم بعلمه ،فيترك التعليم والفتوى ، ويبخل الصانع بصناعته ،حتى يترك تعليم غيره ، ويبخل الغني بماله ،حتى يهلك الفقير ،

والشح من طبائع النفوس، ولكن بالمجاهدة ،والاستعانة بالله ،يتخلص الإنسان من طبع الشح، فهو يؤدي إلى ارتكاب ما حرم الله من قطيعة الأرحام، وسفك الدماء، والشح أيضا يفضي إلى طلب الإنسان ما ليس له، ومنع ما يجب عليه من الحقوق،

يتقارب الزمان, وينقص العمل, ويلقى الشح، يعني: يلقى في القلوب, والشح أشد من البخل لأنه بخل عن أداء الحقوق, والحرص على ما ليس له, فالإنسان قد يبخل بماله لكن إذا صار حريصاً على ما ليس له, بخيل عن أداء الحقوق التي عليه, فيكون قد دخل في الشح، وهو مرتبة أسوأ من البخل.

ومن المعلوم : أن الشح ممحق للمال ، مذهب لبركته ، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ »

فإن أهل المعرفة فهموا من هذا الحديث: أن المال الذي يخرج منه الحق الشرعي ،لا يلحقه آفة ولا عاهة ، بل يحصل له النماء ، ومن ثم سميت الزكاة بهذا ، لأن المال ينمو بها ، ويحصل فيه البركة .

(وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ » . قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ قَالَ « الْقَتْلُ ، الْقَتْلُ »

بين صلى الله عليه وسلم أن المقصود بكثرة الهرج ، أي كثرة القتل ظلما وعدوانا ، فيكثر في هذا الزمان الظلم والبغي والاعتداء

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ العبادة في زمن الهرْج لها أجر عظيم، وثواب جزيل من الله تعالى .

روى مسلمٌ عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ » [1]

وفي رواية أحمد : « الْعَمَلُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ »،

قال الإمام النَّوَوِي في شرح مسلم: قوله صلى الله عليه وسلم: «العبادة في الهرْج كهجرة إليَّ».

المراد بالهرْج هنا: الفتنة، واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه: أن الناس يَغْفُلون عنها ويَشْتَغلون عنها، ولا يتفرَّغ لها إلا أفراد".

وقال ابن حَجَر في فتح الباري: "قال القرطبي: إن الفتن والمشقَّة البالغة، ستقع حتى يَخِفَّ أمر الدين، ويَقِلَّ الاعتناء بأمره، ولا يَبْقَى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشِة نفسِه، وما يتعلق به؛ ومن ثَمَّ عَظُم قدرُ العبادة أيام الفتنة".

---

[1] مسلم ٩ / ٧ برقم ٢٩٤٨

وفي كتاب تطريز رياض الصالحين: ‘‘قال القرطبي: المتمسك في ذلك الوقت، والمنقطع إليها، المنعزل عن الناس، أجرُه كأجر المهاجر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم لأنه ناسبه من حيث إن المهاجر فرَّ بدينه ممن يصده عنه للاعتصام بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وكذا هذا المنقطع للعبادة فرَّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو في الحقيقة قد هاجر إلى ربه، وفرَّ من جميع خلقه’’.

وقال ابن العربي: وجْه تمثيله بالهجرة أن الزمن الأول كان الناس يفرِّون فيه من دار

الكفر وأهله، إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقَعَت الفتن تعيَّن على المرء أن يفرَّ بدينِه من الفتنة إلى العبادة، ويَهْجُر أولئك القوم وتلك الحالة، وهو أحد أقسام الهجرة .

۞ ركوب السروج الجديدة

عن عبد الله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ يكون في اخر امتي رجال يركبون السروج كأشباه الرحال ينزلون على ابواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم ﴾﴾ [١]

هذا الحديث أورده المنذري في (الترغيب والترهيب)، وقال: "رواه ابن حبان في (صحيحه) واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم". وقال الشيخ الألباني رحمه الله في (صحيح الترغيب): "حسن".

وهذا الحديث يدخل ضمن الغيوب التي أخبر بها نبينا صلى الله عليه وسلم بعدما أطلعه عليها ربنا سبحانه ، وهو من معجزاته الراجعة إلى صفة العلم الثابتة لربنا جل جلاله، وفيه الكلام عن أمرين : أولهما صفة المركوبات التي

---

[١] صحيح ابن حبان ١٣ / ٦٤ برقم ٥٧٥٣ و مسند الامام احمد ٢ / ٢٢٣ برقم ٧٠٨٣

يمتلكها الناس في مستقبل الأيام، وثانيهما: ما يكون عليه النساء من تبرج بالزينة وإظهار للمفاتن .

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده و ابن حبان في " صحيحه " و الطبراني في " الصغير " و " الأوسط "

وقال الطبراني :

" يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم " [1] وقال : " صحيح على شرط الشيخين " .

ورواية الحاكم المتقدمة بلفظ : " يركبون على المياثر .. " و(المياثر) جمع (ميثرة) و (الميثرة) بالكسر قال ابن الأثير : " مفعلة من الوثارة ، يقال : وثر وثارة فهو وثير ، أي وطيء لين ، تعمل من حرير أو ديباج ، يجعلها الراكب تحته على الرحال فوق الجمال" .

والسروج التي يركبونها تكون وطيئة لينة ، و أنها كأشباه الرحال ، أي من حيث سعتها . و عليه فجملة " كأشباه الرحال " هي صفة لـ (سروج) . وذلك يعني أن هذه السروج التي يركبها أولئك الرجال في آخر الزمان ليست سروجا

---

[1] الحاكم ٤ / ٤٣٦

حقيقية توضع على ظهور الخيل ، و إنما هي أشباه الرحال . و إن علمنا ان (الرحال) جمع رحل ، و أن تفسيره كما في معاجم اللغة " كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع و مركب للبعير "

فيتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى مركوبة من نوع جديد تناسب عصراً جديداً، وهي السيارات ، فهي وثيرة وطيئة لينة كأشباه الرحال .

وقوله: "كأشباه الرحال": (بالحاء المهملة) جمع: رحل، وفيه إشارة إلى أنها مركوبات جديدة، لم يرها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون المراد أنها السيارات – والله أعلم. (نهاية العالم للعريفي: صـ١٣١)

وقد نَوَّهَ القرآن عن مثل هذا، فقال تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٨].

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾:

"أي أنه سبحانه يخلق مالا يعلم المخاطبون وقت نزولها، وأبهم ذلك الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول، ولم يصرح هنا بشيء منه، ولكن قرينة ذِكْر ذلك في معرض الامتنان بالمركوبات تدلّ على أن منه ما هو من المركوبات، وقد شُوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالطائرات والقطارات والسيارات.

ويؤيد ذلك إشارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله لينزلن ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً؛ فليكسرن الصَّلِيبَ، وليقتلن الْخِنْزِيرَ، وليضعن الْجِزْيَةَ، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد"

ومحل الشاهد من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "ولتتركن القلاص فلا يسعي عليها"، فإنه قسم من النبي صلى الله عليه وسلم أنه ستترك الإبل فلا يُسعى عليها، وهذا مشاهد الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة.

وفي الحديث معجزة غيبية أخرى اضافة لمعجزة الحديث عن نساء العصر القادم الكاسيات العاريات ، وهي المتعلقة برجالهن الذين يركبون السيارات ينزلون على أبواب المساجد .

ففي يوم جمعة حينما تتجمع السيارات أمام المساجد ، ينزل منها رجال ليحضروا صلاة الجمعة ، وأكثرهم لا يئمون المساجد الا بيوم الجمعة ، فلا تظهر عليهم سيماء الصلاة ولا اخلاق المصلين ، وخصوصاً في معاملتهم لأزواجهم و بناتهم ، فنساؤهم " كاسيات عاريات "

أما "الكاسيات": ففيه أوجه:-

أحدها: معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها.

والثاني: كاسيات من الثياب، عاريات من فعل الخير، والاهتمام لآخرتهن، والاعتناء بالطاعات

والثالث: تكشف شيئاً من بدنها إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات.

والرابع: يلبسن ثياباً رِقاقاً، تصف ما تحتها، كاسيات عاريات في المعنى.

وأما قوله: "رؤوسهن كأسنمة البخت": فمعناه: يعظمن رؤوسهن بالخُمُر والعمائم وغيرها مما يُلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره.

قال المازري: ويجوز أن يكون معناه: يَطْمحن إلى الرجال ولا يغضضن عينهن، ولا يُنَكِّسْن رؤوسهن.

۞ السلام على الخاصة

عن عبد الله بن عباس ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ بين يدي الساعة تسليم الخاصة ، وتفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وتقطع الأرحام ، وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق ﴾﴾ [1]

روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بسند صحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة)). وروى النسائي عن عمرو بن تغلب قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة)) وهذا أمر حاصل وظاهر..

انبأنا رسول الله ﷺ ان الأيام ستشهد تسليم الخاصة ، وهو ان لا يلقي الرجل السلام الا على من يعرفه ويدع السلام على من لا يعرف .

والسلام دعاء بالرحمة والأمن وطلب الرحمة والبركة من الله على الآخرين فيجيبونه بمثل ذلك من الدعاء له بالرحمة و الأمان والبركة وراحة القلب والبال .

---

[1] مسند الامام احمد ١ / ٤١٩ برقم ٣٩٨٢

أخرج الإمام احمد في مسنده عن طارق بن شهاب انه قال :

كنا عند عبد الله جلوساً فجاء رجل فقال : قد أقيمت الصلاة فقام وقمنا معه فلما دخل المسجد رأينا الناس ركوعا فكبّر وركع وصنعنا مثل الذي صنع ثم مشينا فمرّ رجل يسرع فقال السلام عليك يا ابا عبد الرحمن فقال صدق الله ورسوله .

فلما صلينا ورجعنا دخل على اهله جلسنا فال بعضنا لبعض : اما سمعتم ردّه على الرجل صدق الله وبلّغت رُسُلُه ؟ فقال طارق : انا اسأله ، فسأله حين خرج فذكر عن رسول الله ﷺ انه قال : ان بين يدي الساعة تسليم الخاصة [1]

واخرج الإمام احمد في مسنده وابن خزيمة عن ابن الجعد قال :

لقي عبد الله رجل فقال : السلام عليك يا ابن مسعود ، فقال عبد الله : صدق الله ورسوله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان من أشراط الساعة ان يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين ولا يسلم الرجل الا على من يعرف [2]

وفي رواية عن الإمام احمد في مسنده عن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ قال :

---

[1] السلسلة الصحيحة ٦٤٧

[2] السلسلة الصحيحة ٦٤٨

ان من اشراط الساعة ان يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه الا للمعرفة .

وعند الطبراني : لا تكون الساعة حتى يكون السلام على المعرفة ، والتسليم على المعرفة فقط خلاف السنّة التي دعت الى إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

وفي الصحيحين : ان رجل سأل رسول الله ﷺ : أي الإسلام خير ؟

فقال ﷺ ؛ تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

والقاء السلام سبب للمحبة والألفة بين الناس ، وهي سبب في دخول الجنة :

فقد اخرج مسلم في صحيحه ان رسول الله ﷺ قال :

(لا تدخلوا الجنة حتى تحابّوا ، أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم) [1]

اما فشو التجارة ومساعدة المرأة زوجها في التجارة :

جاء في الحديث الذي أخرجه الامام احمد في مسنده والبزار والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود ان بين يدي الساعة ...

---

[1] الترمذي ٨٠٥٩

وفشو التجارة كثرتها وانتشارها واشتغال الناس بها لسهولتها ومكسبها مما دعا المرأة للعمل بها ومشاركة زوجها بها لجمع المال بالمشاركة بمواقع العمل او بافتتاح فروع تديرها .

وانتشار التجارة و فشوها الظاهر انه سيكون بلا وازع ديني وعدم تحري الحلال مما يجر الناس للوقوع في الحرام وعدم المبالاة بمصدر المال .

فقد اخرج البخاري عن ابي هريرة ﵁ ان رسول الله ﷺ قال :

(ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ... أمِن حلال أم مِن حرام)

واخرج النسائي عن عمرو تغلب ، ان رسول الله ﷺ قال :

(ان من اشراط الساعة ان يفشو المال ويكثر وتفشو التجارة ويظهر الجهل ويبيع الرجل البيع فيقول لا ، حتى استأمر تاجر بني فلان ، ويلتمس التاجر في الحي فلا يوجد)

وقوله ﷺ يبيع التاجر البيع فيقول لا حتى استأمر تاجر بني فلان يُفهَمُ منه انه سيكون هناك تجارا كبارا ولعلهم اصحاب رؤوس الأموال او وكلاء معتمدون لاستيراد السلع او تصديرها ولعلهم يسيطرون على السوق ويتحكمون بها فلا يستطيع صغار التجار التصرف بتجارتهم الا بإذنهم .

وقوله ﷺ (ويلتمس التاجر في الحي فلا يوجد) ذكر السندي في حاشيته على سنن النسائي :

(ان المراد هنا ان يلتمس عمن يكتب عقد التجارة بين الناس احتسابا غير طامع في مكافأة فلا يوجد) .

لقد أخبر النبي ﷺ أنه لا يخشى على هذه الأمة الفقر، إنما يخشى عليها أن تبسط عليها الدنيا، فيكثر المال، وتفشو التجارة، فيقع بين الناس التنافس، الذي يؤدي إلى الهلاك، ففي الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام: ((والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)) رواه البخاري ومسلم .. وفي صحيح مسلم قال ﷺ: ((إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟ قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول ﷺ: أو غير ذلك: تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون)). فالمنافسة على الدنيا، تجر إلى ضعف الدين، وهلاك الأمة، وتفريق الكلمة، كما وقع في الماضي، وكما هو واقع الآن.

ونرى اليوم ما أنبأ وأخبر به النبي ﷺ من فشو التجارة، أصبحت ترى مدينة صغيرة ، كلها سوق ، تحولت معظمها إلى مجمعات تجارية، وبأضعاف حاجة

البلد، ورغم كساد السوق والتجارة هناك ازدياد متضاعف فتح محلات جديدة، إنه أحد علامات الساعة ومصداق قول رسول الله ﷺ وما أخبر بأنه سيقع .

أورد الامام احمد في مسنده وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

((سيأتي على الناس سنوات خداعات – وفي رواية سنون خداعة – يُصدّق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوّن فيها الأمين))[1]

أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث: تنبأ رسول الله ﷺ بأن المقاييس التي يقوم عليها معرفة الرجال وانزالهم ما يستحقون من منزلة سوف تختل قبل قيام الساعة، فيقبل قول الكذَّاب ويصدق، ويرد قول الصادق، ويؤتمن الخونة على الأموال والأعراض، ويُخوَّن الأمناء ويتهمون، ويتكلَّم التافهون من الرجال في القضايا التي تهم عامة الناس وقد كان كما أخبر النبي ﷺ .

أما تقطيع الأرحام وانعدام الصلة بين أهل الأرحام فمرجعه المصالح والمنافع وانشغال الكل بمصلحته وسعيه الى المكسب حتى ينسى أهله وذويه .

---

[1] (السلسلة الصحيحة: ١٨٨٨) (صحيح الجامع: ٣٦٥٠).

وقد استشرت حالات قطع الأرحام بين الناس وانتشرت فصار طبيعياً ان نسمع عمن يرمي أبيه او أمه بدار العجزة .

الأب الذي ربّى والأم التي حملت وأرضعت وسهرت ، يتنكر لهم ابنائهم حين تقدمت بهم السِّن وضعفت قوتهم واحتاجوا المعين واحتاجوا السند . وكم من أخ لا يلتقي أخيه وكم من ابن لا يعرف عن عمه او خاله .

انه زمن اللهاث خلف المصالح والبحث عن المكاسب ، فلم يعد ثمة وقت لزيارة اخ او اصطحاب أم لطبيب .

تفككت روابط الكثير من الأسَر فهنا ابن هاجر وترك أمه وهناك أخت تزوجت وهاجرت برفقة زوجها .. ولم يعد الأسر تجتمع الا في المكالمات الجماعية ، وربما حتى هذه لا تتاح .

أما شهادة الزور وكتمان شهادة الحق:

فالإسلام حرَّم شهادة الزور وجعلها من أكبر الكبائر، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه عن أبيه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ – ثلاثاً – قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً، فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت".

فمن شهد بغير علم فقد وقع في ذنب عظيم، وارتكب إثماً كبيراً، قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال مُحَمَّد بن الحنفية: "يعني شهادة الزور".

فعلى الإنسان ألا يشهد إلا بما علم، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾ [يوسف: ٨١].

ومَنْ شهد بما لا يعلم فقد أضاع الحقوق، ونصر الظالم، أو ظلم بريئاً، لذا استحقَّ أن يكون من أكبر الكبائر

أما بالنسبة لكتمان شهادة الحق، فهذا أيضاً من الأمور التي نهي عنها رب العالمين، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة الزور وكتمان شهادة الحق من علامات الساعة ،

وكل ذلك قد تحقق ، كما تحقق كل الذي قال به رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : "إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ،

۞ التوصية بالصحابة والعمل مع الجماعة

عن ابي بكر ﷺ ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ استوصوا بأصحابي خيراً ثم الذين يلونوهم ثم الذين يلونوهم ثم يفشو الكذب حتى ان الرجل ليبتديء بالشهادة قبل ان يُسألها فمن اراد بحبحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ﴾﴾ [1]

ومن حديث عمر بن الخطاب ﷺ الصحيح والمتصل الاسناد والذي صححه الألباني ان رسول الله ﷺ قال :

أوصيكُم بأصحابي ، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم ، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم ثمَّ يفشو الكذبُ حتَّى يحلِفَ الرَّجلُ ولا يُستَحلَفُ ويشهدَ الشَّاهدُ ولا يُستَشهَدُ ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كانَ ثالثَهما الشَّيطانُ علَيكُم بالجماعةِ وإيَّاكم والفُرقةَ فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحدِ وَهوَ منَ الاثنَينِ أبعدُ مَن أرادَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فلْيلزَمُ الجماعةَ . مَن سرَّتهُ حسنتُهُ وساءتْهُ سَيِّئتُهُ فذلِكم المؤمنُ [2]

---

[1] مسند الامام احمد ١/١٨ برقم ١١٤

[2] الترمذي برقم ٢١٦٥

في بداية هذا الحديث المبارك والذي احتوى توجيهات ووصايا واخبار وانباء بما سيحدث ليتجنب المسلم الوقوع فيما حذّر الرسول ﷺ منه ومن تجنب الوقوع فيه او الاقتراب منه .

ابتداءاً اراد رسول الله ﷺ ان يُنزل صحابته رضوان الله عليهم منزلتهم ليُعرف فضلهم وأفضليتهم على سواهم ، وحتى يلتزم من يتحدث عنهم حدود الأدب وان لا يضع ميزاناً يزن فيه من كرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالأفضلية .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في مجموع فتاواه ورسائله (١١٠ / ١٠٥٧ ـ ١٠٥٨)

(وهذه الأفضلية أفضلية من حيث العموم والجنس ، لا من حيث الأفراد ، فلا يعني أنه لا يوجد في تابعي التابعين من هو أفضل من التابعين ، أو لا يوجد في التابعين من هو أعلم من بعض الصحابة ، أما فضل الصحبة ، فلا يناله أحد غير الصحابة ولا أحد يسبقهم فيه ، وأما العلم والعبادة ، فقد يكون فيمن بعد الصحابة من هو أكثر من بعضهم علما وعبادة)

"أُوصِيكم بأَصْحابي"، أي: أَعطوهم حقُوقَهم وأنزِلوهم منزلَتَهم، وقدِّروهم، ولا تُهِينوهم ولا تَسُبُّوهم، "ثمَّ الَّذين يلُونَهم"، أي: وأُوصِيكم أيضًا بالَّذين يأتون مِن

بَعدِهم وهم أبناؤُهم وأتباعُهم مِن التَّابعين، "ثمَّ الَّذين يَلُونَهم"، أي: وأُوصِيكم أيضًا بالجِيلِ الثَّالثِ الَّذين يأتون مِن بَعدِهم وهم أتْباعُ التَّابعين، "ثمَّ يَفْشُو الكذِبُ"، أي: ثمَّ يأتي زمانٌ بعد هذه الأجيال الثلاثة ينتشر فيه الكذب ويكثر وفي هذا اشارة بأن تلك الأجيال الثلاثة تخلو او يقلّ فيها ما سيُحذّر النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم منه وكأن الخير سيذهب بذهاب تلك القرون وان الشر سيأتي في التي ستليها .

حتَّى يَحلِفَ الرَّجلُ ولا يُستَحلَفَ"، أي: ويَصِل الأمر مِن الشَّرِّ في هذا الزَّمانِ أنْ يُكثِرَ الرجل الحلِفَ ولَمَ يُطلب منه أن يحلف او يُقسِم ؛ وذلك لفِسْقِه وفجوره وجرأته على كتاب الله ولقلة الثقة بين الناس بسبب انتشار الكذب ، "ويَشْهَدَ الشَّاهِدُ ولا يُستَشهَدَ"، أي: ويَصِلُ الشر في هذا الزمان أن يشهَدَ الرَّجلُ شهادَةَ الزُّور ولم تُطلب منه، إنما يَشهدها فِسقًا وفجورًا او ربما تلك اشارة لتدخل الناس فيما لا يعنيهم فيشهدوا في أمور لم يطلب أحد رأيهم او شهادتهم فيها .

وقال ابن الجوزي رحمه الله :

" يعني أنهم لا يتورعون في أقوالهم، ويستهينون بالشهادة واليمين " .[1]

ثمَّ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: "ألَا" وهي أداة للتنبيه ولفتِ انتباه السامع، "لا يَخلُوَنَّ رجلٌ بامرأَةٍ إلَّا كان ثالِثَهما الشَّيطانُ"، أي: لا ينفرد رجل بامرأَة أجنبية إلا كان معهما الشيطان، وذلك قد يسوقكم إلى الزِّنى فالإسلام قد حذّر منه الاقتراب من الزنى لأن الاقتراب منه سيقود للوقوع فيه .

ثم يشير رسول الله ﷺ للذي سيكون من الفرقة والشتات وتعدد الطوائف والفِرَقِ وتعدد الفتاوى والمفتين نُصحه ﷺ بما يؤدي لوحدة الصف ووحدة الكلمة :

"عليكم بالجماعَةِ"، أي: الزَموا جماعة المسلمين، ولا تحيدوا عنها، "وإيَّاكم والفُرْقَةَ"، أي: احذروا التَّفرُّقَ والتشرذُم والاختلاف فيما بينكم؛ فالفرقة تُذهب قوتكم وقد تقود للتكفير والقتل وهذا ما نجده اليوم وما نلمسه ،

"فإنَّ الشَّيطانَ مع الواحِدِ، وهو مِن الاثنَينِ أبعَدُ"، أي: يتمكن الشيطان من الذين يُفارقون الجماعة ويكونون فُرادى مُتفرّقين، ويكون تأثيره عليهم أشدَّ، ووسوسته عليهم أقوى، أمَّا الجماعة فهو منهم أبعد، ولا يستطيع أنْ يؤثِّر فيهم كما يؤثّر على الفُرادى فالجماعة فيها التناصح ويحمي بعضهم بعضاً ويرى

---

[1] كشف المشكل ١/ ٢٩١

احدهم عيوب اخيه فيسعى لتخليصه منها وحمايته من تلبيس الشيطان ووسوته ويوصيه بالصبر وبالحق والتزامه ، "مَن أراد بُحْبوحَةَ الجنَّةِ فليلْزَمِ الجماعةَ"، أي: من أراد أنْ يدخل الجنة ويكونَ في وسطها ويظفر بنعيمها وذلك مطلب الكل ومُنية الجميع فليتمسَّك بجماعة المسلمين ولا يبتعد عنها ، والبُحْبوحَةُ هي الوسَطُ، فبُحْبوحَةُ الدَّارِ وسَطُها وبُحْبوحَةُ الجنَّةِ وسَطُها،

"مَن سرَّتْه حسنَتُه وساءَتْه سيِّئتُه فذلكم المؤمِنُ"، يتحدث رسول الله ﷺ عن صفة من صفات المؤمنين سيأتون لاحقاً فبسبب كثرت الفتن التي ستظهر لاحقاً بسبب مفاتن الدنيا وزخرفها وظهور مفاتن وابتلاءات غير معهودة صار ممكناً للمؤمن ان يقع في الخطأ إلا ان القلوب ستظل على فطرتها فيفرح بما يقرّبه من الله وسيندم على المعاصي ، ممكن للمؤمنين ان يُذنبوا الا ان القلوب ستظل على فطرتها وعلى نقاءها ... انه زمن سيأتي لاحقاً ، وقد أتى ولقد رأيناه وعشناه .

۞ فتح مصر ووصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهلها

عن أبي ذر ﷺ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿﴿ إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها قال فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل ابن حسنة يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها ﴾﴾ [1]

قوله صلى الله عليه وسلم : (ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ; فإن لهم ذمة ورحما ، فإذا رأيت رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها قال : فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة ، فخرج منها) وفي رواية : (ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى اهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال : ذمة وصهرا) قال العلماء : القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به . وأما الذمة فهي الحرمة والحق ، وهي هنا بمعنى الذمام . وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم

---

[1] صحيح مسلم ٧٥٩٩

وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة ، ومنها أنهم يفتحون مصر ، ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة ، ووقع كل ذلك ولله الحمد .

ومعنى (يقتتلان) يختصمان كما صرح به في الرواية الثانية .

قال النووي في شرحه على مسلم :

قال العلماء : الْقِيرَاط جُزء من أَجزاء الدينار والدرهم وَغيرهما ،وكان اهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

واما الذِّمة فهي الحرمة والحق ، وهي هنا بمعنى الذمام .

واما الرحم فلكون هاجر ام اسماعيل منهم .

وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ :

منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة

.

ومنها اخباره انهم سيفتحون مصر .

ومنها تنازع الرجلين الرجلين في موضع اللبنة .

ووقع كل ذلك ولله الحمد .

ومعنى يقتتلان : يختصمان .

والخروج من مصر في هذا الحديث خاص بأبي ذر رضي الله عنه لحكمة يعلمها الله

ولو كان هذا الأمر عاما للأمة ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركون العمل به

وما كانوا ليجتمعوا على مخالفة أمر نبيهم عليه الصلاة والسلام .

ضياع الأمانة

عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

《《 اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة 》》

قيل يا رسول الله ما اضاعتها ؟

قال : (اذا توسد الأمر غير أهله فانتظر الساعة) [1]

الأمانة عكس الخيانة ، والأمين من تأمنه على العرض والمال والنفس ومصالح الناس .

والظاهر ان المقصود بالأمانة والأمر هنا الولاية العامة كالرئاسة والزعامة والقضاء والحكم بين الناس وتولي المصالح العامة للجمهور .

أما التوسد فيشير الى ما كان من عادة العرب حين كانوا يضعون تحت الجالس اذا كان ذو شأن وسادة او وسادات تحته لراحته ولرفع مجلسه وفي ذلك دلالة على رفعته وعلو شأنه .

[1] البخاري ١ / ٣٣ برقم ٥٩ و مسند الامام احمد ٢ / ٣٦١ برقم ٨٧١٤

فاذا وكلت أمور الناس كالرئاسة والزعامة والقضاء والحكم ، وقُدِّم فيهم من لم يكن أميناً على مصالحهم ، ولم يكن من خيارهم ، فذلك من دلالات قرب يوم القيامة وانقضاء الحياة .

ورسول الله ﷺ حين يتحدث عن علامات الساعة فهو ﷺ يتحدث عن أمور ستحدث .. ولو بعد حين .

ثم ان الحديث الشريف يشير الى فساد الأمة وهلاكها ، لأن القادة والرؤساء والقضاة وكل رموز الزعامة هم قادة الأمة والرعية ، بصلاحهم تصلح الأمة وبفسادهم تفسد وتهلك .

وهذا الحديث له صلة بحديث رواه الشيخان والترمذي ، فمن حديث حذيفة رضي الله عنه (حدثنا رسول الله بحديثين رأيت أولهما وانا انتظر الآخر .

حدثنا ان الأمانة نزلت في جذور الرجال [١] ثم عَلِموا من القران ثم عَلِموا من السُنّة [٢] ، وحدثنا ﷺ عن رفعها فقال : ينام الرجل النومة فتُقبضُ الأمانة من قلبه فيظل أثرُها مثل أثَرِ الوَكْتِ [٣] ثم ينام النومة فتُقبَضُ فيبقى أثرها مثل المجْلِ

[١] الجذر بالفتح : الأصل

[٢] يعني ان الأمانة في الفطرة ثم تعلموها بالاكتساب من الشريعة

[٣] الوكت السواد اليسير فهو اشبه بالنقطة

[1] كجمرٍ دحرجته على رِجلِكَ فنَفِطَ فتراه مُنْتَبِراً وليس فيه شيء [2] فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال ان في بني فلان رجلاً أميناً ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولقد أتى عليَّ زمان وما أبالي أيكم بايعت [3] لئن كان مسلما ردَّه عليَّ الإسلام وان كان نصرانياً او يهودياً ردّه عليَّ ساعِيهِ فأما اليوم فما ابايع الا فلانا وفلانا[4].

وكان عروة بن الزبير ﷺ يقول (ما نقصت أمانة الرجل الا نقص ايمانه)

ولذلك لا يُتصور من المؤمن خيانة .

أخرج البيهقي في "سننه" وأبو يعلى في "مسنده" عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يطبع المؤمن على كلِّ خلةٍ غيرَ الخيانة والكذب".

---

[1] المجل الانتفاخات التي تظهر في اليد نتيجة العمل الشاق بالفأس وأمثالها

[2] منتبراً مرتفعا او منتفخا وليس فيه شيء ، والمراد ان الأمانة تزول من القلوب شيئا فشيئا وكلما زال جزء منها خلّف في القلب ظلمة كالسواد ، وهذه الظلمة وهذا السواد والظلمة تكبر وتتسع

[3] بايعت من البيع والشراء

[4] المراد ان زمن الامانة مضى حيث كان البيع والشراء مع الجميع فان كان مسلماً فإسلامه يلزمه بتأدية ما عليه وما بذمته ، وان كان غير مسلم أنصفني وليه المسؤول عنه

لكن مع تطاول الزمان وفساد الأخلاق تُرْفَع الأمانة، وهي أول ما سترفع من قلوب الناس.

فقد أخرج الحكيم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مُصَلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى" (صحيح الجامع: ٢٥٧٥).

فإذا ضاعت الأمانة ورُفِعَت من قلوب الرجال فانتظر الساعة؛ لأنه ستنقلب الموازين، وتفسد سرائر الناس، ويتولى مقاليد الأمور غير الأمناء؛ فتسود الفوضى، ويعم الفساد، وهذا أكبر مقتل يفسد نظام الحياة.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم؛ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فَكَرِهَ ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه،

قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: فإذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة".

فبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن إضاعة الأمانة من علامات الساعة.

ومن مظاهر إضاعة الأمانة إسناد الأمور المتعلقة بالآخرة أو بالدنيا أو بهما معاً إلى غير مستحقيها، كالقضاء والإفتاء والتدريس والقيادات وسائر الوظائف العامة، وإنما دلَّ ذلك على دنو الساعة لما فيه من خيانة للرعاة والرعية؛ ينتج عنها تفويت الحقوق وإضاعة المصالح.

قال ابن التين: "الأمانة كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلَّف. وعن ابن عباس: - رضي الله عنه - "هي الفرائض التي أُمِرُوا بها ونُهُوا عنها. وقيل:هي الطاعة.وقيل: التكاليف. وقيل: العهد الذي أخذه الله على العباد.

۞ تداعي الأمم على المسلمين

عن ثوبان ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ يوشك الأمم ان تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها

فقال قائل ومن قلة يومئذ ؟

قال : بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن

فقال قائل : وما الوهن ؟

قال حب الدنيا وكراهية الموت ﴾﴾ [١]

قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد من الآية:١١]. فثبت أن هدف الحديث إنما هو تحذير المسلمين من الاستمرار في "حب الدنيا وكراهية الموت"، ويا له من هدف عظيم لو أن المسلمين تنبهوا له، وعملوا بمقتضاه؛ لصاروا سادة الدنيا، ولما ذاقوا مرارة الذل والخضوع لعدوهم . وهذا حديث ثابت عنه ﷺ رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه،

[١] مسند الامام احمد ٥ / ٢٧٨ برقم ٢٢٤٥٠ و سنن ابي داوود ٤ / ١١١ برقم ٤٢٩٧

والبغوي في شرح السنة وغيرهم، وجاء من طرق متعددة من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وثوبان رضي الله عنه.

وهذا الحديث العظيم هو نوع من الغيب الذي أُخْبِره نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم من ربه جل وعلا، وما سيكون في قادم الأزمان من بعد عصره عليه الصلاة والسلام؛ حيث قال: ((ولكنكم غثاء كغثاء السيل))؛ يعني: فيما يكون من حالكم لاحقا، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: (يوشك الأمم)؛ يعني: أن هذا الأمر قريب أن يكون؛ لأن هذا الفعل "يوشك" كما يسميه علماء اللغة من أفعال المقاربة؛ أي:

(أن تَداعى عليكم)؛ بمعنى: أن يدعو بعضهم بعضًا لأجل الاعتداء عليكم ومقاتلتكم، وسلب ما ملكتموه من ارادة و من ديار وأموال، وما عندكم من خيرات، فإن قوله عليه الصلاة والسلام: (كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)؛ بمعنى: أنهم يشاهدون ما في أيديكم من أنواع الخير الذي يَفيئه الله عليكم .

وهذا ما تحقق؛ فأراضي أمة الإسلام اليوم فيها من أنواع الخيرات والبركات، وما أخرجه الله لهم من باطن الأرض، وما أفاءته الزروع والثمار، وما جرت به الأنهار، وغيرها من أنواع الخير – ما يُحقق الاكتفاء الذاتي لهذه الأمة لو أحسنت إدارة شؤونها، وما في أيديها من هذه النعم والخيرات، فقوله عليه

الصلاة والسلام: (كما تداعى الأكلة)؛ الأكلة جمع آكل، ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، حينما يجتمع الآكلون على القصعة، وهي الإناء والوعاء الكبير المليء بالطعام الذي لا يُمنع منه أحد ، فهذا يصور به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يكون من السطوة والهجوم الذي يكون من أمم الضلال ما يدفعهم لأن يتسلطوا على المسلمين؛ طمعًا فيما في أيديهم فيما أفاءه الله جل وعلا من أنواع الخيرات، والمقصود أنهم حينما يتداعون إلى ذلك بلا مانع ولا منازع، فيأكلون ما شاءوا ، لا مُكدر عليهم فيما ينالون وما يأخذون، ولذلك فإن هذا الوصف يوضح أيضًا أنهم حينما يتداعون إلى هذا الأمر، فإنهم يطلبون أيسر السبل التي يأخذون من خلالها ما بأيدي المسلمين؛ بلا ضرر يلحقهم، ولا شر يصيبهم، ولا غير ذلك مما يفقدونه من أنفسهم، والمقصود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرر في هذا الحديث قُرب تسلُّط فِرَق الكفر والضلال؛ حيث يدعو بعضهم بعضًا مع اختلاف مِللهم وتبايُنِ مشاربهم وعقائدهم، لكنهم يجتمعون جميعًا على حرب أمة الإسلام والطمع فيما أفاء الله عليهم؛ ليكسروا شوكة المسلمين، ويغلبوهم، ويأخذوا ما ملَّكهم الله إياه من الديار، وما أفاء عليهم من الخيرات، وحينئذ يأتي السؤال من الصحابة ليتبينوا حقيقة هذا الأمر وهذا الحال الذي سيكون قطعًا بخبر مَن لا ينطق عن الهوى؛

قال قائل: "ومن قلة نحن يومئذ؟"، هل تصير لنا هذه الحال بسبب قلة أعدادنا وكثرة أعداد أعدائنا؟ فإذا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيب إجابة أطلعه الله على ما سيكون من حال أمة المسلمين؛ حيث يتزايد عددها كما وقع في عصور سالفة لأمة الإسلام، حينما تسلط عليهم الأعداء كانوا عشرات الملايين، ولا يزال عددهم يزيد إلى أن يبلغوا المليار أو يزيد على ذلك، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: (أنتم يومئذ كثير)؛ أي: عدد كبير، وليس فيكم قلة في أعدادكم، (ولكنكم غثاء كغثاء السيل)؛ قال العلماء: غثاء السيل هو ما يحمله السيل من زبد ووسخ، ونحو ذلك مما يقذف به السيل حينما يسير في الوادي، فيحمل الأعشاب اليابسة، ونحو ذلك مما يكون من المخلفات، وفي هذا تشبيه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن هذا العدد يفتقد النوعية والجودة، يفتقد القوة، يفتقد الآثار المباركة؛ وذلك لقلة شجاعتهم، ولدناءة آمالهم، ولتعلُّقهم بتوافه الأمور، فلا يلتفتون إلى معاليها ولا إلى شريفها، وإنما هِمم متدنية وأفعال غير منتجة، ولذلك يصيرون كمثل : "غثاء السيل".

ثم يصف النبي صلى عليه وآله وسلم الحال أيضًا، أنه يصاحبه أن تنزع المهابة من قلوب الأعداء نحو المسلمين، فلا يهابونهم ولا يخافونهم؛ حيث يزيل الله هذه المهابة التي من آثارها – لو صدق المسلمون – أن يكونوا كما أخبر النبي صلى

الله عليه وآله وسلم أنه نُصِر بالرعب مسيرة شهر، ولمن تبِعه واقتفى سنته نصيبٌ من هذا النصر العظيم الذي هو أوائل تحقُّق النصر، وهو أن يكون الرعب في قلوب الأعداء، ولذلك يكون كما في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا، بعد أن تذهب همة المسلمين ويقل تعلقهم بربهم، وبالآخرة – أن المهابة وهي الخوف والرعب يُزال من قلوب أعدائهم ، ويجيء السؤال من الصحابة رضي الله عنهم: وما الوهن يا رسول الله؟ لعله سبق إلى ذهن الحاضر أن الوهن له معنى محدد، وقد سأل عنه، فجاء بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيانًا أكثر مما تقتضيه اللفظة اللغوية، فقال: (الوهن هو حب الدنيا وكراهة الموت)، والمعنى في ذلك، وإن كان كل منهما يؤدي إلى الآخر، لكن يكون في وصف هذه الحال أن ثمة نوعًا من الوهن، وهو أن يكون تعلق بالدنيا وكراهية للموت، وليس المقصود في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعريفه للوهن بأنه حب الدنيا وكراهية الموت – المعنى الظاهر أن الإنسان يحب الدنيا، وأن الإنسان يكره الموت، فليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود منه الجانب السيئ الذي يحمل الإنسان على حب الدنيا وأموالها، وحب البقاء فيها ، ونسيان الآخرة، وكراهة لقاء الله لأن حبهم للأغيار اكبر من حبهم لله .

ربما تعجب الصحابة رضوان الله عليهم حين سمعوا الحديث ، فهم قد وطّنوا انفسهم على محبة الله وترك التعلق بالدنيا ، كانوا يحبون الله سبحانه اكثر مما سواه ، وحياتهم عبادة وسعي لمرضاة الله سبحانه وانتظار لقائه ، قوم أعزهم الله بالإسلام ، فعاشوا كباراً ، زرع الله مهابتهم في قلوب اعدائهم ، كانوا قلّة باعدادهم لكنهم كباراً بأفعالهم ، أليس منهم الثلاثة الاف رجل الذين لقوا اعدائهم من الروم ومن والاهم وهم مائتا الف ، فقاتلوهم قتال الرجال ، وانسحبوا بعزة ورجولة وشموخ .

فكيف لمن سيخلفهم ان يكون بهذا الهوان وهذا الوهن وهم كثرة ؟

لكنه قول الصادق المصدوق ، فلم يكن لهم الا ان يُصّدقوه

۞ تغزون الجزيرة وفارس والروم

عن نافع بن عتبة بن أبي وقاص من الحديث الصحيح السند قال :

﴿﴿ كُنَّا مع رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم، في غَزوَةٍ، قال: فأتَى النبيَّ صلى اللَّه عليه وسلم، قوم مِن قِبَلِ المغرب، عليهم ثياب الصُّوفِ، فوَافقوه عند أَكمةٍ، فإنَّهم لَقِيَامٌ ورسول الله صلى اللَّه عليه وسلم قَاعد ، فقالت لي نفسي: ائْتِهِم فَقُمْ بينهُم وبينه لا يغتالونه، ثُمَّ قلت: لَعله نَجِيٌّ معهم، فأتَيْتُهُم فَقُمتُ بينهم وبينه ، فَحَفِظْتُ منه أَربَعَ كلمات، أَعُدُّهُنَّ في يدي ، قال : تَغْزُونَ جَزِيرَةَ العَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ .

فقال نافع: يا جابر، لا نرى الدَّجَّالَ يخرج، حتَّى تُفتحَ الروم ﴾﴾ [1]

وهذا الحَديث مِن علامات نُبوَّةِ مُحَمَّد ﷺ؛ حيث أَخبر فيه عن وُقوع أَشياء بعد موتِه، منها فُتوحاتُ فارس والرُّوم .

يقول نافع بن عتبةَ في هذا الحديث : كنا مع رسول اللهِ ﷺ في غزوة، قال: فأَتى النبي ﷺ قوم مِن قِبَلِ المِغرِبِ، أي: من قِبَلِ مَغربِ المدينة. عليهم ثيابُ

---

[1] صحيح مسلم بالرقم: ٢٩٠٠ وحلية الأولياء ٨ / ٢٨١

الصُّوفِ، وهذا لباس أَهلِ البادية، فوافَقوه عند أَكمة، والأَكمة: القطعة الغليظة من الرَّمل، فإِنَّهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد.

قال نافع رضي الله عنه: فقالت لي نفسي: ائِتِهم فقُمْ بينهم وبينه خشية ان يغتالوه ، ففعل ذلك كي لا يغتالوه، أي: يقتلوه غَيلةً، وهي القَتلُ في غفلة وخديعة، ثم قال: (لعلَّه نجِيٌّ مَعهم)، أي: يُناجيهم، وَمعناه يُحدِّثُهم سرًّا، ثُمَّ فعل ما حدَّثتْه نفسه به من القيام بينهَ وبينهم .

فَقال نافع فحفظْت منه أربعَ كلمات، أَعُدُّهن في يدي (تَغزونَ) أي: بعدي (جَزيرةَ العربِ) المعنى: بَقيَّةَ الجزيرةِ أو جميعها، فيفتحُها الله عليكم (ثُمَّ فارسَ)، أي: ثم تغزونها فيفتحُها الله ، ثم تغزون الرُّومَ فيفتحها الله ، ثم تغزون الدَّجَّال، والخطاب فيه للصَّحابة والمراد الأُمَّة ، (فيَفتَحُه اللهُ)، أي: يجعله مقهورًا مغلوبًا، فيقعُ هلاكُه على أَيدي المسلمينَ.

وهذا الخِطاب كان لأُولئك القومِ الحاضرين، فالمراد هم ومن كان على مثل حالهم من الصّحابة والتابعين الذين فُتِحَتْ بهم تلك الأَقاليم المذكورة، ومن يكون بعدهم من أهل هذا الدِّين .

۞ الفتنة

عن عمرو بن العاص من حديث صححه الألباني قال :

﴿﴿ بينما نحن حول رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، إذ ذكر الفِتنةَ ، فقال : إذا رأيتم النَّاسَ قد مرَجت عهودُهم ، وخفَّت أماناتُهم وكانوا هكذا . وشبَّك بين أصابعِه ،

قال : فقُمتُ إليه فقلتُ : كيف أفعلُ عند ذلك ، جعلني اللهُ فداك ؟

قال : الزَمْ بيتَك ، واملِكْ عليك لسانَك ، وخُذْ بما تعرِفُ ودَعْ ما تُنكِرُ ، وعليك بأمرِ خاصَّةِ نفسِك ، ودَعْ عنك أمرَ العامَّةِ ﴾﴾ [١]

ومن حديث الامام احمد

- يأتي علَى النَّاسِ زمانٌ يُغَرْبَلونَ فيهِ غَربلةً يبقى منهُم حثالةٌ قَد مرَجَت عُهودُهُم وأماناتُهُم واختلَفوا فَكانوا هَكَذا وشبَّكَ بينَ أصابعِهِ قالوا يا

[١] صحيح ابي داود كتاب برقم ٤٣٤٣ و واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى برقم ١٠٠٣٣

رسولَ اللَّهِ فما المخرَجُ من ذلِكَ قالَ تأخُذونَ ما تعرِفونَ وتدَعونَ ما تنكِرونَ وتُقبِلونَ علَى أمرِ خاصَّتِكُم وتَدَعونَ أمرَ عامَّتِكُم [1]

والحُثالة هي: الرديء من كلِّ شيء، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى أن هؤلاء سيجمعون أحطَّ خِصال البشر التي لا تنافي فقط الشرعَ؛ بل تنافي أيضًا العُرفَ والرجولة والإنسانيَّة؛ فهم أقوامٌ لا عهدَ لهم ولا أمانة؛ يذهبُ الواحد فيهم بدينه وعهدِه وأمانته، فلا يبيتُ إلا بالانسلاخِ والانحلال والغَدْر.

توضيحٌ جليٌّ لسبب سقوطِ هؤلاء المتساقطِين الذين مرَجَت عهودُهم وأماناتهم، وهو بيعُهم الدِّينَ بعَرَض من الدنيا، وإن كان الساقطُ منهم الغادر بنفسه على علم بأن هذا العرَضَ زائلٌ لا محالة، وانتفاعَه منه قليلٌ غير مستمرٍّ، لا يستحقُّ أن يبيعَ أمامَه دينَه وعهدَه وأمانتَه؛ لكنها الفتنُ .

لذا؛ كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَحُثُّ أمتَه على المبادرة إلى الخير، فقال: ((بادروا بالأعمال...))؛ أي: بادروا بالأعمالِ الصالحة؛ فعند وقوع الفتن يشتدُّ الأمر، وينشغلُ غالبُ الناس بها وبمتابعتها، واللَّهث وراء أخبارها؛ فكان على

---

[1] مسند الامام احمد (٦٩٨٧) ، وابن ماجه (٣٩٥٧) بنحوه

كلِّ أريبٍ بصير أن يبادرَ ويَشْغلَ وقته بالأعمال الصالحة التي تُقرِّبُه إلى الله؛ لعلَّها تُنجيه من الفتن عند وقوعِها.

وقدَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم الحلَّ عند وقوع الأمر، فقال: ((تأخذون ما تعرفون، وتَدَعون ما تُنكرون، وتُقْبِلون على أمر خاصَّتِكم، وتَذَرون أمرَ عامَّتِكم))؛ أي: تَحرِصون على ما أمركم الله ورسولُه فتفعلونه، وتجتنبون ما نهى عنه الله ورسوله فتتركونه، وتُقبِلون على أنفسكم ومن تَلُون أمرَهم خاصة، فتتعاهدوهم بالالتزامِ بالأمر واجتناب النهي، وتَدَعون أمرَ العامة، فقد نزلت الفتن وأصبح معظمُهم ممن وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلًا: ((مَرَجتْ عهودُهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا – وشبَّك بين أصابعه)) وهذا مما بدت بوادرُه .

كان النبي صلى اللهُ عليه وسلم يُعلِّم أصحابه ﷺ ويعلمنا كيف يعرفون الفتن، وكيف يكون حالهم فيها، وفي هذا الحديث يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

"بَينَما نحن حول رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم إذ ذكر الفتنة، فقالَ: إذا رَأيتُم الناسَ قد مرَجتْ عُهودُهم"، أي: ظهر فيهم وانتشر فساد العهد ولم يوفوا به، والفِتنةُ هي اختِلاطُ الحقِّ بالباطل فلا يُعرَف أهل الحق من أهل الباطل ،

"وخفت أَماناتُهم"، أي: قلَّت بينهم الأَمانة فأصبح لا يُعرف بها في ذلك الزمنِ إلا قليل.

"وكانوا هَكذا- وشبَّكَ بينَ أصابِعه-"، أي: خلطوا فلا يُميَّز فيهم الطيِّبُ من الخبيث والمؤمن من المنافق .

قال ابن عمرو: "فقمتُ إليه"، أي: إلى النبي صلى اللهُ عليه وسلم، فقلت: "كيفَ أفعلُ عندَ ذلكَ، جعلَنِي اللهُ فِداكَ؟"، أي: ما العمل عند ظهور هذا الزمن ؟

قال النبي ﷺ: "الزَمْ بَيتَكَ"، أي: كن في بيتك أكثر أوقاتك فلا تخرج إلا لحاجةٍ، "وامْلِكْ عليكَ لِسانَكَ"، أي: ولا تتكلم فيما يحلُّ بالناس وينتشر فيهم حتي يتركوك وشأنَك، فلا تدخل في الفتنة بقول أو فعل

"وخُذْ بما تَعرِفُ ودَعْ ما تُنكِرُ"، أي: اقبل بما هو حقٌّ، واترك ما هو باطل

"وعلَيكَ بأمرِ خاصَّةِ نفسِكَ، ودَعْ عنكَ أمرَ العامَّةِ"، أي: الزم نفسك وأحوالها وقومها ولا تنشغل بما يحلُّ بالناس ويحدث فيهم، وهذا تأكيد ومزيد خلاص من الفتنة.

وهذا كله يحمل على أنَّ من عجز عن الأمرِ بالمعروف ، أو خاف الضرر عمومًا، سقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان ويمكنه أن ينكره بقلبه.

۞ فتنة تموج موج البحر بعد وفاة عمر

رسول الله ﷺ يخبر باستشهاد عمر بن الخطاب ﷺ

﴿ حدثنا شقيق قال سمعت حذيفة يقول :

كنا عند عمر فقال : أيكم يحفظ من حديث رسول الله ﷺ في الفتنة ؟

فقلت : أنا احفظه .

فقال : هات انك لجريء وكيف ؟

قلت : فتنة الرجل في اهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرّها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقال عمر : ما هذا اريد انما التي تموج موج البحر .

قلت : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، ان بينك وبينها باباً مغلقاً .

قال : فيكسر الباب او يُفتح ؟

قلت : قلت بل يُكسر .

قال : ذلك أحرى ان لا يغلق ابداً .

قلت : اجل .

قال فقلنا لحذيفة : هل كان عمر يعلم من الباب ؟

قال : نعم كما يعلم ان دون الغد ليلة ، وذلك اني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط .

قال فهبنا ان نسأل حذيفة من الباب فقلنا لمسروق : سله .

فسأله فقال : عمر ﴾ [1]

[1] البخاري ٤ / ٣٦٦ برقم ٧٠٩٦

۞ رفع العلم وكثرة الجهل

عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء ﴾﴾ [١]

ان رفع العلم, وثبوت الجهل وانتشاره يكون بقبض العلماء، وقبض أهل العلم وموتهم, كما قال عليه الصلاة والسلام: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا بغير علم فضلوا وأضلوا [٢]

وهكذا زوال العلم يكون بالعزوف عن كتبه, والعزوف عن مجالسه, والاشتغال بالدنيا, وترك طلب العلم, وقد حدث من هذا الكثير وسيصل الأمر إلى درجة أنه كما جاء في حديث حذيفة مرفوعاً:

يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة .

---

[١] البخاري ٥/٢١٢٠ برقم ٤٩٣٣ و مسلم ٤/٢٠٥٦ برقم ٢٦٧١ و سنن ابن ماجة ٢/١٣٤٣ برقم ٤٠٤٥

[٢] البخاري ١ / ٤٠ برقم ١٠٠

وليسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض من آية وتبقى طوائف من الناس ، الشيخ الكبير والعجوز ، يقولون :

أدركنا اباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله فنحن نقولها .

فقال له صلة :

ما يغني عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟

فأعرض عنه حذيفة ثم رددها عليه ثلاثاً ، كل ذلك يعرض عنه حذيفة .

فقال له : يا صلة تنجيهم من النار ، ثلاثاً) [١]

يَدْرس الإسلام يعني: يذهب ويضمحل؛ لأن درس الشيء هو ذهابه، يقال: اندرست الآثار، يعني: ذهبت واضمحلت، يدرس الإسلام كما يدرس وَشْيَ الثوب ، أي: كيف أن الزينة والتطريز الذي في الثوب ومع كثرة الاستعمال والغسيل تزول, واللون يزول, وهذه النقوش تزول, كذلك الإسلام يحدث به، كما يدرس وَشيَ الثوب, حتى لا يدرى ما صيامٌ, ولا صلاة,ٌ ولا نسكٌ, ولا صدقةٌ, وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة ، أي: إذا صار الجهل مستحكما في الأرض, وربما يكون هذا بعد عيسى عليه السلام فإنه لن يبقى

[١] ابن ماجة: ٤٠٤٩، والقزويني ٩٨٠٨ وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ٨٧

هناك من يتعاهد القران ويقرأه ، لأن الناس لا يفتحونه, ولا يرجعون إليه, ولا يطبقونه, ولا يتعلمونه, ولا يحفظونه, ولا يقرؤونه . سيبقى نفرٌ عندهم بعض الآيات في صدورهم,

قال عليه الصلاة والسلام: وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية يعني: بأمر الله تنمحي كل الآيات الموجودة في صدور الناس, ويفتح المصاحف فتكون بيضاء لا حرف فيها , ولا كلمة, ولا آية، وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية لا في الصدور, ولا في المصاحف, ولا في الكتب، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها ، من الراوي؟ حذيفة.

ومن يستمع له ؟ يستمع له صلة ، أحد طلابه، قال:

ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة, ولا صيام, ولا نسك, ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاث مرات كل ذلك يعرض عنه حذيفة, ثم أقبل عليه في الثالثة.

فقال:

يا صلة تنجيهم من النار, يا صلة تنجيهم من النار, يا صلة تنجيهم من النار"

هؤلاء قوم ما وصل إليهم من الدين إلاّ لا إله إلا الله، فهذه حيلتهم, وهذه قدرتهم، فهذه تنفعهم تنفع ذلك الجيل، لأن الله لا يعذب على شيء لم يبلغ الناس, وأما الذين بلغتهم الصلاة, والزكاة, والصيام, والحج, إلى أخره فأعرضوا عن العمل بالكلية, وقالوا: نحن نقول: لا إله إلا الله فقط, فلا تنفعهم لا إله إلا الله لأنهم أخلّوا بشروطها, لأنهم لم يعملوا بما أمر الله به ان يُعمل .

لكن آخر جيل من الناس الذين لا يعرفون من الدين إلا هي تنفعهم, لكن تسوء الأمور بعد ذلك حتى قضية لا إله إلا الله لا تعرف, لكن يبقى لفظ الجلالة الله, ثم تسوء الأمور، فلا يبقى في الأرض حتى لفظ الجلالة، كما قال عليه الصلاة والسلام : لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله

وفي رواية له: لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله

وعند أحمد: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله رجاله رجال الصحيح. [1]

إذاً هكذا سيحدث في آخر الزمان, والجهل عملية تدريجية تحدث في المسلمين، وفيها مد وجزر، يعني في مكان فيه جهل فينتشر فيه العلم, ومكان أخر فيه علم كثير ينحسر العلم ويظهر الجهل, في آخر الزمان انحسار كامل.

---

[1] مسند الامام احمد ١٣٨٦٠

كثرة النساء وقلة الرجال:

قال عليه الصلاة والسلام: من أشراط الساعة... وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد

والقيم الواحد، أي: واحد يقوم عليهن زوجات, وأخوات, وبنات, وبنات عم, وخالات, وعمات, وبنات خال، خمسين امرأة وليس هناك إلاّ رجل واحد يقوم عليهن.

قال الحافظ بن حجر: "قيل سببه أن الفتن تكثر, فيكثر القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء". [١]

لكن هذه القضية وهي قضية كثرة القتل قد سبق التطرق إليها فيما مضى، وهي كثرة القتل, وكثرة القتل ستكون بسبب الفتن فعلاً.

وكثرة الفتن تكون نتيجتها حروب مثل فتنة الدهيماء التي لا تدع أحداً إلا لطمته لطمةً, فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث أن الرجل يقتل أباه, وأخاه, وابن عمه, قالوا: يا رسول الله معنا عقولنا يومئذ؟ فأخبرهم أن عقول أهل ذلك الزمان تكون كالهباء- ذرة الغبار- فلذلك ممكن واحد يقتل أباه, وأخاه, وابن عمه, وجاره.

---

[١] فتح الباري ١ / ٣٢٥

وأخبر صلى الله عليه وسلم: أن من الفتن: لا يدري القاتل فيما قَتَل, ولا المقتول فيم قُتِل (والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتَلَ ،

ولا يدري المقتول في أي شيء قُتِلَ) [1]

فسبب من أسباب قلة الرجال الفتن والحروب التي ستكون نتيجة لها، وما ينتج عنها من قتل المقاتلة ،وأكثر المقاتلين وحملة السلاح من الرجال فهذا الغالب، قال: والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر؛ بل يقدّر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور, ويكثر من يولد من الإناث". [2]

إذاً لها سببان كثرة النساء حتى يكون معدل النساء للرجال، ممكن يأتي وقت من الزمان أن الرجل الواحد يلوذ به خمسون امرأة, فممكن أن يكون نتيجة كثرة قتل الرجال في الحروب، وهم أكثر جنودها, وممكن أن يكون نتيجة شيء آخر فيجعل الله سبحانه وتعالى نسبة المواليد الإناث أكثر من الذكور.

نحن موقنون ان من علامات الساعة كثرة النساء آخر الزمان وقلة الرجال.

وان الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ .

---

[1] مسلم ١٨ / ٣٠ برقم ٢٩٠٨

[2] فتح الباري ١ / ٣٢٥

وقال أهل العلم: "إن سبب زيادة النساء على الرجال قد ترجع إلى :

كون ذلك بسبب كثرة الفتن والحروب، فيقتل الرجال، ويكثر عدد النساء.

وقيل: إنه يكون لكثرة الفتوح فتكثر السبايا.

وقيل: إن الله يقّدر في آخر الزمان أن يقل عدد المواليد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، والمتأمِّل في نسب الولادة بين الذكور والإناث يعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا الأخير هو الذي رجَّحه الحافظ ابن حجر، فقد قال :

"والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يُقدِّر الله في آخر الزمان أن يقل مَن يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث [1]

---

[1] فتح الباري ١ / ١٣٣

۞ قبض العلم وكثرة الزلازل

عن ابي هريرة ﵁ ن رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج ﴾﴾

قالوا الهرج أيما هو ؟

قال ﴿﴿ القتل القتل ﴾﴾ [1]

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ – وَهُوَ الْقَتْلُ –)

فقوله عليه الصلاة والسلام (لا تَقُومُ السَّاعَةُ) أي يوم القيامة ، وهو يوم يمتد لخمسين الف سنة من سنين الدنيا يبتدئ بنفخ الملك اسرافيل في الصور فيخرج الناس من القبور سراعاً للحساب .

[1] البخاري ٦ / ٢٦٠٥ برقم ٦٧٠٤

وقوله عليه الصلاة والسلام (حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ) أَي يَمُوتَ العلماء ويكثر الجُهَّالُ كما روى البخاري أَنه صلى الله عليه وسلم قال (إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ لَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤسَاءَ جُهَّالاً فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا) وفي هذا الحديث دليلٌ على أنَّ الشخص إذا سأل من هو ليس أَهلاً للفتوى فأَفتاه بغير عِلمٍ فعمل بفتواه أَنَّ الضرر يحصل للمفتي وللمستفتي، وما أكثرهم اليوم.

قَالَ الْحَافِظُ النَّوويُّ (لا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَسْتَفْتِيَ إِنْسانًا إِلا إِذا كَانَ ثِقَةً ذَا كَفَاءَةٍ فِي عِلْمِ الدِّينِ).

وقوله عليه الصلاة والسلام (وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ) جمع زَلْزَلَةٍ وهي حركةُ الأرض واضطرابها حتى ربّما يسقط البناء القائم عليها .

جعل الله سبحانه وتعالى الأرض قراراً وثابة وأرسى فيها الجبال ليعيش فيها او عليها الخَلقُ بأمان وحتى تصلح للمعاش .

وحين يتحدث رسول الله ﷺ عن كُثرَتِ اضطراب الأرض وحركتها وكثرت الزلازل فيها فإن ذلك سيقود لتدمير الكثير من البلاد وأذية خلق كبير من الناس جراء ذلك .

وهذا ما نشهده اليوم فقد ازدادت الزلازل وعمّت وكما أخبر ﷺ .

وهذه عقوبات يُجريها الله على العباد اذا فسدوا في اخر الزمان فهي من ناحية عقوبة لأهل المعصي بذنوبهم ، وتذكرة لأهل الايمان ليعودوا الى الله ويتوبوا اليه سبحانه وتعالى .

ولا يُقال ان هذه الزلازل وزيادتها ظواهر طبيعية نتيجة حركة الأرض وليس لها دلالات .

فهذه (الظواهر الطبيعية) لم تكن في الأزمنة السابقة وذلك لصلاح الناس وقربهم من الله سبحانه وتعالى .

هذه الزلازل نذير و تحذير ليعتبر الخلق ويتوبوا .

أن "كثرة الزلازل" التي ظهرت بدايتها ولا تزال تتابع ستكثر حتى تستحكم وتنتشر كما انبأ بذلك رسول الله ﷺ .

أن كثرة الزلازل من أشراط الساعة الصغرى والتي ظهرت بدايتها ولا تزال تتابع وتكثر حتى تستحكم وتنتشر .

ويجب التنبه أن وقت تكاثر الزلازل هو إيذان لبقية الفتن التي تحدث عنها رسول الله ﷺ بالظهور والتفشي كالمعاصي وظهور المنكرات من قبض العلم، وتقارب الزمان، وظهور الفتن، وكثرة القتل..

وقد يكون المراد بكثرة الزلازل هو أن يتوافر فيها صفتان: الشمول، والاستمرار والدوام. قال الحافظ ابن حجر: "قد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها: شمولها، ودوامها"

والمراد بالشمول: أي جميع أرجاء الأرض.

والمراد بالدوام: تقارب ما بين الزلازل بحيث تكون على مدار العام، وتنتشر وتعمّ.

وقوله عليه الصلاة والسلام (وَيَتَقارَبَ الزَّمَانُ) أَي فيكون الزمن الطويل كالزّمن القصير وهذا كلام مُجمَلٌ بيَّنه الرسول صلى الله عليه وسلم في حَديث رواه الترمذيُّ بقوله (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ والْجُمُعَةِ كَالْيَوْمِ والْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَالسَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ مِنَ النَّارِ).

وتقارب الزمان قد يحمل مدلولات لمعاني متعددة فقد يُراد به ان البركة ترفع من الزمان فيتفلت الوقت من الناس دون ان يستفيدوا منه ، فكأن الزمن لا يكفي ولا يتسع لينجز الناس ما يريدون انجازه ، فيسعى الرجل ويشعر انه بسباق مع الزمن ، ويظل يشكو بأن الوقت ينقضي دون ان ينجز ما يريد .

وربما يشير الحديث الشريف ان تقارب الزمان يراد به ان الأمر الذي كان يستلزم انجازه وقتاً طويلاً أصبح يتم بوقت أقصر وبشكل ملحوظ ، كالسفر مثلاً ،

فالانتقال من مدينة لأخرى والتي كانت تستلزم أياماً من السفر المتواصل صارت تتم بساعات قليلة .

وربما يُراد من الحديث ان انتقال الأخبار بين الناس وبين المدن والتي كانت تقتضي أشهراً او أسابيع ، باتت تحتاج لدقائق ، فتطور ادوات الاتصال جعلت الدول كقرية تتنقل الأخبار فيها بدقائق .

ولأن حياة البشر بكل تفاصيلها وبكل دقائقها البسيطة تعتمد على الوقت ، ولأن الزمن عنصر مهم في تحركات البشر وحركتهم اليومية وعلاقتهم بكل ما حولهم ، ولكون المكننة والتطور العلمي جعل حركة البشر وقدرتهم على الإنجاز أكبر وأسرع وأكثر ، فقد تغير الزمن المستغرق لكل تفاصيل الحياة اليومية وأصبح اقصر وأقل ، ومع ذلك أصبح الناس يشكون من تفلت الوقت ومن ضياعه ،

وقد يكون تقارب الزمان راجع إلى زوال الإحساس بما يمر عليهم من الزمان، لشدة ما هم فيه، وذلك لكثرة الفتن وتنوع اشكالها .

وتلك معجزة كبيرة لمح لها هذا الحديث الشريف .

وقوله عليه الصلاة والسلام (وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ) أَي تكثر وتشتهر.

والفتن اختبارات وامتحانات للناس .

وقد حملت الدنيا بتطورها وتقدمها وظهور علاقات جديدة بسبب التطور الحضاري والاقتصادي ، جرّ كل ذلك لظهور قيَم جديدة وموازين جديدة ومفاهيم جديدة تحتوي فتن كبيرة ، فما كان كمالياً بالأمس اصبح اليوم ضرورة ، فالتقدم التكنولوجي ومفرزاته وما صاحبه من اختراعات خلق احتياجات جديدة للبشر ، وكلها فتن واختبارات ، فالحصول على السيارة مثلاً او الهاتف او الحاسوب ... ، ونوعها وثمنها وكيفية الحصول على المال اللازم لشرائها كل ذلك اصبح فتنة واختبار للناس ولدينهم وامتحان لعقيدتهم ، ثم ان تعلّق الشخص بتلك الأشياء ومقدار المساحة التي تحتلها بقلبه فتنة واختبار له ايضاً .

ان تغير المفهوم النسبي للغنى والفقر اصبح فتنة وامتحان للناس ، فمن يملك بيتا متوسط الحال سيصبح بيته كوخاً اذا بُني جنب بيته قصرٌ كبير ، او هكذا سيشعر .

ان الخطوط الفاصلة بين المتناقضات كالغنى والفقر ، وبين الجوع والشبع ، وبين الحاجة والاكتفاء ، ومثيلات تلك الأشياء أصبحت تحمل مفهوماً جديداً ومعنى مختلف عما كان ، وكل ذلك فتنة .

وهناك فِتَنٌ كثيرة طالت حتى مفاهيم الدين فالاختلافات الفقهية والتعصب لها اصبحت فتنة ، والتكفير الذي انتشر بين طوائف المسلمين صار فتنة والقتل الذي طال الكثيرين بسبب الفتاوى والموقف منه اصبح فتنة للناس وامتحان .

ان انتشار المعاملات المالية واسواق المال وما افرزه الاقتصاد الحديث والعلاقات المالية ونمو المال وزيادته جعل الفاصل بين المال الحرام والكسب الحلال فواصل رقيقة وغير واضحة المعالم عند الكثيرين ، فيسقط في الربا من لم يعصمه الله من ذلك ، وتلك فتنة .

وما اكثر الفتن ، وكل ذلك حَذّر منه رسول الله ﷺ في حديثه هذا .

وتلك معجزة من المعجزات التي خصّه بها ﷺ ربه سبحانه وتعالى .

وأما ما جاء في هذا الحديث (وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ) فهو القتل

ومن حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عن النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: " الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ "، والهرج ههنا هو مطلق الفتن، وهذا أجر عظيم لمن التفت عن الفتن ولم ينساق نحوها، وينجرف في تيارها، الذي يأخذ العقول، ويخطف القلوب، ويزهق الإيمان، فوقت الفتن يتلوّن الإنسان، ويكاد لا يعرف أين الحق، أو كيف اللجوء من الباطل، والفتن تذكر ويذكر بها وخطورتها كما قال الآجري:" لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يَحْتَاطُ لِدِينِهِ، فَإِنَّ الْفِتَنَ عَلَى وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ

مَضَى مِنْهَا فِتَنٌ عَظِيمَةٌ، نَجَا مِنْهَا أَقْوَامٌ، وَهَلَكَ فِيهَا أَقْوَامٌ بِاتِّبَاعِهِمُ الْهَوَى، وَإِيثَارِهِمْ لِلدُّنْيَا، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّعَاءِ، وَالْتَجَأَ إِلَى مَوْلاهُ الْكَرِيمِ، وَخَافَ عَلَى دِينِهِ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ، وَعَرَفَ زَمَانَهُ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْوَاضِحَةَ السَّوَادَ الأَعْظَمَ، وَلَمْ يَتَلَوَّنْ فِي دِينِهِ، وَعَبَدَ رَبَّهُ تَعَالَى، فَتَرَكَ الْخَوْضَ فِي الْفِتْنَةِ، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ يَفْتَضِحُ عِنْدَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم وَهُوَ مُحَذِّرٌ أُمَّتَهُ الْفِتَنَ؟ قَالَ: " يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا ".

وقد حصل ما ذكر النبي في هذا الحديث من الهرج ومن كثرة الجهل وقلَّة العلماء إلى حد بعيد .

فاصبح للكثيرين جرأة على الدين وجرأة في الإفتاء ، والتكلم بالرأي وبالظنون وبلا معرفة او دراسة متعمقة بالفقه وبأصوله او بالحديث الشريف ومعرفة متشابهه او صحيحه ومتواتره وضعيفه

كان اهل العلم يتحرجون من الافتاء وينأون بأنفسهم عنه ، لِما علموا من خطره ، فالمفتي يحدد علاقة المستفتي بدينه واسلوب تعامله بأمور دينه ودنياه وله بذلك كِفلٌ من عمل المستفتي فان كان خيراً فله نصيب من الأجر وان كان غير

ذلك فعليه إثم ووزر ان افتى بلا علم او تبحّر بالفقه وعَلِمَ صحيحه وناسخه ومنسوخه .

كان المفتون والمراجع من اهل العلم قلّة وهم معروفون ومشهود لهم ، رجال تزودوا من العلم والمعرفة ودرسوا على يد علماء واساتذة أكفاء ، واليوم كثر من يفتي ولم يقرأ من العلم الا قليله ، ولم يأخذ علمه عن ثقات واكفاء .

اما القتل فقد انتشر وصار طبيعياً ان نسمع عن انجار هنا أودى بحياة كذا من الشباب وانفجار هناك يقتل هذا العدد من الناس .

قتل يستشري فلا قاتل يعرف من قَتَل ولا مقتول يعرف لِمَ قُتِلَ ... لا احد يدري لكن القتل يستمر .

ثم ان التقدم التكنولوجي والتقدم في التصنيع خلقت وسائل قتل جماعي ، فحين سمع الصحابة ﭬ حديث رسول الله ﷺ (يكثر الهرج . وهو القتل .) لم يتوقع احد منهم ان ضغطة على زر ستقتل مئات البشر ، وان انطلاق صاروخ سيفتك بمئات او ربما الالاف من خَلْقِ الله .

وربما كان الحديث معهم عن حرب كونية يُقتل فيها اكثر من اربعين مليوناً من البشر ، ربما حديث عن أمرٍ كهذا لم يكن الا نسج خيال او كلام لا يمكن تصديقه .

وهذا القتل بين المسلمين والتكفير الذي يُذبَح جرّائه آلاف من المسلمين ، انه زمن قتل المسلم للمسلم ، وأمر كهذا كان قد تحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والقتل عذاب . عذاب للمقتول ولأهله .

وكان من قدر هذه الأمة أن يكون عذابها من نفسها، على نفسها، فسُلّط بعضها على بعض، يسبي بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، وكأن هذا أهون وأيسر من أن يبعث الله عزّ وجل خسفا، أو عذابا، يهلك به الأمة جميعها، صالحها وطالحها، وقد روى الترمذي ٢١٧٥، من حديث خباب

والسنة هي القحط العام، كالمجاعات والأوبئة، التي تهلك الأمم، عافانا الله منها، وهي إذا حدثت في طائفة من الأمة، لم تحدث في سائرها، فلله الحمد والمنة، وأعطانا ربنا بسؤال نبينا، ألا يسلّط علينا عدوا يستأصلنا، وهذا من المبشرات ولله الحمد، فدين الله وأمته باقية إلى قيام الساعة، وشواهد ذلك كثيرة لا تخفى، لكنه سبحانه منعه، عليه الصلاة والسلام، ألا يُسلّط بعضنا على بعض، ويقتل بعضنا بعضا، فكان ذلك أهون الأمور الثلاثة.

وجاء هذا الخبر، عند مسلم من حديث عامر بن سعد عن أبيه، ومن حديث ثوبان رضي الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم:

" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، أَوَ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا "، [١]

وها نحن نرى بأعيننا في هذا الوقت، كيف تضيع دماء المسلمين بلا سبب او مبالاة، أو خوف من الله، وعدم نظر إلى عواقب الأمور، وما تجنيه من شرور، حتى لا يكاد الناس في بعض الدول، يأمنوا على أنفسهم القتل في وضح النهار، داخل بيوتهم، فضلا عن سواد الليل .

وككل ذلك انبأ به رسول الله ﷺ

---

[١] مسلم ٢٨٩١ والترمذي عن خباب بن الأرت (سألته ان لا يهلك امتي بسنة فأعطانيها ، وسألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها ، وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها) الترمذي ٩٠٥٨

۞ البعثة النبوية والساعة

عن سهل بن سعد ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ بُعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى ﴾﴾ [1]

ان هذا الحديث الشريف يشير الى انه ﷺ آخر الرسل وان رسالته آخر الرسالات الربانية .

وبهذا دلالة على عموم الرسالة الإسلامية وكونها لكل الناس وانها تصلح لجميع الأوقات وحتى قيام الساعة ، وان ليس بينه ﷺ والساعة نبي ، وليس بين رسالته ﷺ والساعة رسالة .

ويشير الحديث ان وقت بعثته ﷺ مقارب للساعة كتقارب الأصبعين احدهما من الآخر .

كما ان الحديث تحذير من اقتراب الفتن التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي ستأتي في آخر الزمان ، ومن جانب آخر فهو يخبر عن قِصَر الفترة بين المبعث الشريف وبين الساعة حتى يحذر المسلمون ويستعدوا للقاء الله سبحانه وتعالى سالمين من الفتن .

---

[1] البخاري ٥/٢٠٣١ برقم ٤٩٩٥ و صحيح ابن حبان ١٣/١٥ برقم ٦٦٤١ والترمذي ٤/ ٣١٩ برقم ١٩١٤

هذا الحديث الشريف تربية للمسلم كي لا يشعر بِسعَةِ الوقت بينه وبين الساعة وان يتهيأ للقاء الله .

كي لا يشعر بالأمل بطول البقاء فيبادر للأعمال الصالحة .

والساعة لها شكلان ، ساعة خاصة وساعة عامة .

فالساعة الخاصة هي ما يتعلق بالمرء ، فساعة المرء حين موته ، اذا مات الرجل انتهى عمله وانقطع الا ما أخبر به رسول الله ﷺ في أحاديث اخرى .

واذا انتهى عمل الرجل نال جزاءه .

فلا سعة ولا أمل ولا طول بقاء .

والساعة العامة هي لحظة انتهاء الحياة بكل اشكالها على الأرض .

وهذا يوم آت .

وكل ما هو آت فهو قريب .

۞ التباهي في المساجد

﴿﴿ لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد ﴾﴾ [1]

(يتباهى الناس) : يتفاخرون.

والمباهاة: المفاخرة، وتكون بالقول او بالفعل او كليهما.

وهذه الرواية تفيد أن المفاخرة:

التي قد تكون بكثرة إنشاء المساجد، مع عدم تعميرها بالصلاة .

وقد تكون بالقول؛ مثل: مسجدنا أحسن مِن مسجدكم .

والمساجد بيوت الله يجتمع فيها المسلمون لعبادة الله سبحانه و تعالى بالصلاة او بحضور حلقات العلم فيتدارسون القران الكريم او الحديث النبوي الشريف او الفقه وأصوله وغيرها من العلوم .

وكل ذلك عبادة يراد بها مرضاة الله والقرب منه سبحانه وتعالى .

فالأساس بالمساجد ان تكون محلاً لعبادة الله وابتغاء مرضاته اما تزيين المساجد وما يتصل ذلك بالزخرفة والألوان فذلك لم يكن في عهده ﷺ ،فقد كان

---

[1] صحيح ابن حبان ٤ / ٤٩٢ برقم ١٦١٣ و مسند الامام احمد ١٤٥/٣ برقم ١٤٩٥

مسجده مدرسة لتربية الرجال مدرسة تخرّج منها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان همّ القائمين على أمر المسجد ان يهيئون مكاناً للعبادة يتعلم الناس فيه الإخلاص وسكينة الأنفس وطمأنينتها .

ولقد صدق رسول الله ﷺ حين انبأ بأن المساجد وبناءها وزخرفتها ستصير شُغل القائمين على المساجد فيتفاخرون ببنائها وألوان البذخ عليها ومقدار ما يُصرف عليها فيكون همّ القائمين عليها جمال البناء وفخامته ويتناسون الأساس الذي تقام له المساجد .

وقد تكون المباهاة تمجيد الناس لأنفسهم والتفاخر امام الآخرين في المسجد وذلك سوء أدب لا يليق بالمسجد ولا بالمصلين المأمورين بالتواضع واللين بين يديّ اخوانهم في المساجد والتذلل لله والتواضع لعباده والعمل بروح الجماعة المبنية على المحبة .

ان التفاخر في بناء المساجد او تفاخر الناس وهم في المسجد ، انحراف بدور المسجد الذي بني لأجله في ان يكون مدرسة وباباً يوصل لله تعالى ولمرضاته وعبادته .

وقد حكى ابن كثير رحمه الله عن حالة من حالات انحراف المساجد عن الاساس الذي تبنى لأجله المساجد .

في عام ٦٦ هـ بنى عبدالملك قد بيت المقدس أحسن البناء، أراد أن يصرف الناس عن عبدالله بن الزبير الذي كانت خلافته في الحجاز، ومكة، والمدينة، فماذا فعل؟ بنى بيت المقدس أحسن البناء، وجعل فيه قناديل الذهب والفضة، وغيرها من السلاسل شيئاً كثيراً، ولم يكن يومئذً على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس، والتها الناس بذلك عن الحرمين".

ابن كثير يقول: "والتهى الناس بذلك عن الحرمين، وافتتنوا به افتتاناً عظيماً، واغتروا به إلى زماننا هذا". [1]

ان تحول بناء المساجد إلى نقوش وزخارف، وتشييد، وتطاول، وألوان، تشغل الناس عن العبادة، وعن الخشوع في الصلاة وتنحرف بالمساجد عن دورها في بناء القلوب وتنقية الأنفس .

ان تزيين وزخرفة المساجد تدخل تحت دائرة الإسراف والتبذير الذي قد جاء النهي عنه شرعاً، ومعلومٌ أن الإسراف هو مجاوزةٌ للحدود الشرعية وإهدارٌ

---

[1] البداية والنهاية ٨/٢٨٠

وتضييع للمال ، وقد جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ولا تبذر تبذيرا* إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ [2]

كما ان قيام البعض بتحلية المساجد وزخرفتها تشبّهاً باليهود والنصارى الذين يُبالغون في هذا الجانب، فترى كثيراً من الكنائس والأديرة قد امتلأت بالزخارف المتنوّعة والنقوش المختلفة والبلاط الملّون على نحوٍ مبالغٍ فيه، فيسيرُ هؤلاء المزخرفين على خطى أهل الكتاب مخالفين بذلك دلائل الوحيين في النهي عن اتباعِ سننهم والسير على نهجهم.

كما ان الزخرفة والمبالغة فيها تقود الى الإلهاء عن ذكر الله تعالى، ومقاصد الشرع تدلّ على الاهتمام بعزل الأمور الملهيةِ عن الخشوع والشاغلة عن إحضار القلب أثناء ممارسة العبادة، المربّع، فكيف إذا كانت البيئة المحيطة بالمصلّي مرصّعة بأنواع الزخارف والتحف؟

ثم انها تحوّل نيّة المزخرف للمساجد إلى المماراة والتباهي، والتفاخر بين الناس ولو لم يكن في المسألة إلا هذا الاعتبار لكفى بذلك مفسدة، والواقع يشهد أن

---

[1] (الأعراف:٢٩)

[2] (الاسراء: ٢٦،٢٧).

النوايا في هذه الممارسات لابد أن يشوبها شائبة الرياء والسمعة، والمباهاة والتفاخر، على نحو ما حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام البغوي: "المباهاة هي المفاخرة ، والمعنى : أنهم يزخرفون المساجد ، ويزينونها ، ثم يقعدون فيها ، ويتمارون ، ويتباهون ، ولا يشتغلون بالذِّكْر ، وقراءة القرآن ، والصلاة".

وإنما عمارة المسجد الحقيقيّة –كما يذكر العلماء– تكون بإقامة الصلاة فيها، وأداء الاعتكاف، وممارسة التعليم، وإقامة المحاضرات والندوات، والتفرّغ بذكر الله والدعوة إليه، وإقامة الشعائر المختلفة، وليست المسألة مجرّد بناءٍ –على أهميّته– وتلوين، وتطعيمٍ بنفائس الحجارة ورسم الخطوط ونحوها.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةٌ حسنة، لننظر كيف كان حال أوّل مسجد بُني في الإسلام؟ سنجد في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، ولما أراد عمر رضي الله عنه إعادة بناء المسجد وترميمه، أوصى البُناةً بقوله: وقال: "أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمّر أو تصفّر فتفتن الناس"، فكان القصد إيجاد المساجد التي تحمي الناس من المطر وإيجاد دار العبادة دون أن يكون التزويق والتفخيم مقصوداً.

۞ استحلال الخمر

عن عبادة بن الصامت ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ ليستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه ﴾﴾ [1]

أخرج البخاري ومسلم عَنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لا تقوم الساعة - أو مِنْ أشراط السَّاعَةِ -: أَنْ يُرفع الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، ويُشرَب الخمر، ويفشو الزِّنَا، ويذهب الرجال، ويبقى النِّسَاءُ،، حَتَّى يكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ".

وفي رواية: "يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء".

وأخرج الترمذي عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ".

---

[1] مسند الامام احمد ٥/٣١٨ برقم ٢٢٧٦١ فيما اورد ابي مالك الأشعري نفس الحديث بلفظ (ليشربن ناس من أمتي) والذي أورده الامام احمد برقم ٢٢٩٥١ ، وفي مصنف عبد الرزاق من حديث عبد الله الجمحي (سيكون في اخر امتي ناس يستحلون الخمر بإسم يسمونها إياه) ٩/٢٣٤ برقم ١٧٠٥٢ و في سنن البيهقي (ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات) ٨/٣٩٥ برقم ١٧١٦٠

وعند الإمام أحمد في "مسنده" عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليشربن أناس من أمتي الخمر، يُسمونها بغير اسمها" (صحيح بشواهده).

ورواه ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبيهقي عنه بلفظ: "ليشربن أناسٌ من أمتي الخمر يُسمُّونها بغير اسمها، ويُضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير".

(قال ابن القيم: إسناده صحيح، ورمز السيوطي لصحته)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتستحلَنَّ طائفةٌ من أمتي الخمر باسمٍ يسمونها إيَاه" (صححه الألباني، وقال ابن حجر: سنده جيد)

والخمر ام الخبائث ، حرّمها الله سبحانه وتعالى وحذّر الشرع من شربها لضررها ولأنها تغيّب العقل وتقود الانسان الى ارتكاب المعاصي والذنوب بوعي او بدون وعي .

وهناك من أعانه الشيطان على نفسه فتحايل على التشريع الرباني ، واحتال على نفسه فراح يسمي الخمر بأسماء غير التي تسما بها فيشربها وكأن التحريم بسبب اسمها او كأن الله لا يعلم خبايا النفوس وما يدور في الخواطر .

وفي الحديث الذي رواه ابو مالك الأشعري ان رسول الله ﷺ قال :

"لَيَشرَبنَّ ناسٌ مِن أمَّتِيَ الخمرَ يُسمُّونَها بغيرِ اسمِها"، أي: يُطلقون عليها مُسمَّيات أخرى مع وجود عِلَّة الإسكار فيها، "يُعزَفُ على رُؤوسِهم بالمعازِفِ" وهي آلات الطرب وغيرها، وإذا اقترن شرب الخمر مع الغناء فإنه يكون أشدَّ خلاعة فيَكونُ أشدَّ حُرمة .

والخمر حرام ؛ والله عز وجل لما حرَّم الخمر، نادى على أهل الإيمان فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]

وبيَّنت السُّنَّةُ أنّ الخمر هي المادّة التي تغطِّي العقل بالسُّكر؛ فكلُّ مادَّة حصل بها الإسكار فهي خمر محرَّمة، وإن لم تُسَمَّ خمرًا؛ ولا يغنيهم ذلك عن العقوبة ؛ لقول رسول الله ﷺ: "كلُّ مُسكرٍ خمرٌ، وكلُّ خمرٍ حرامٌ"، وقوله ﷺ: "ما أسكَرَ

[1] المائدة: ٩٠

كثيرُه فقليلُه حرامٌ"، ولقد ظهَرَ صِدقُ رسول الله ﷺ ؛ فإنَّ أناسًا يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها؛ فبعضهم يسميها بالشَّراب الرّوحي، يخدعون انفسهم ويتحايلون على أنفسهم وقد قال رسول الله ﷺ (الحلال بيّن والحرام بيّن) والتحريم لم يكن بسبب الاسم بل لفعل الخمر المذهب والمفسد للعقل ولخبثها وإفسادها الدين .

وفي الحديث: عَلَمٌ من أعلام النبوّة، حيث أخبر رسول الله ﷺ بما يكون بعده، وقد وقع ذلك كما أخبر. ... وفيه وعيد شديد لمن يتَحايل في تحليل ما يُحرَّمُ بتغيير اسمه، وأنّ الحُكم يدور مع العلّة وجودًا وعدَمًا، والعلَّةُ في تحريمِ الخمرِ الإسكارُ

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيأتي أناس يستحلون الخمر ويسمونها بغير اسمها، وهذا من علامات الساعة.

واستُحِلَّت الخمر لقلة الإيمان أو لذهابه، لأنه مَنْ ملأ الإيمان قلبه لا يُتَصور منه فعل هذا.

ولذلك جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم: "لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي

وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخمر حِينَ يَشْرَبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ" [1]

قال ابن عباس رضي الله عنه : "إذا شرب المؤمن الخمر يُنزع منه الإيمان هكذا، وشبَّك ابن عباس بين أصابعه ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه الإيمان هكذا، وشبَّك بين أصابعه" [2]

ورفع أبو هريرة رضي الله عنه يده مرة على رأسه وقال: "يُنزع منه الإيمان، فيصبح على رأسه كالظل، فإن تاب وعاد يُعاد إليه الإيمان هكذا".

وأخرج النسائي بسند صحيح موقوف من حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: "اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ، عِنْدَهَا غُلامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلامَ، قَالَ:

---

[1] البخاري ٦ / ٢٤٩٧ برقم ٦٤٢٥ و مسند الامام احمد (مسند ابي هريرة) ٢ / ٤٧٩ برقم ٩٨٥٩

[2] البخاري ٦ / ٢٤٩٧ برقم ٦٤٢٤

فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، فَقَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا - وَاللَّهِ - لا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلا أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ " [1]

فلا يجتمع إيمانٌ وحب الخمر في قلب عبدٍ أبداً .

[1] النسائي ٨ / ٣١٥ برقم ٥٦٦٦ و سنن البيهقي الكبرى ٨ / ٢٨٧ برقم ١٧١١٦

۞ نار الحجاز تضيء ببصرى

قال رسول الله ﷺ :

﴿﴿ لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيء أعناق الإبل بِبُصرى ﴾﴾ [1]

بُصْرَى أو بصرى الشام هي مدينة تاريخية تتبع محافظة درعا في الجمهورية العربية السورية حيث تبعد ٤٠ كم عن مركز مدينة درعا وحوالي ١٤٠ كم عن دمشق وترتفع عن سطح البحر حوالي ٨٥٠ متراً، كانت بصرى عاصمة دينية ومركزاً تجارياً هاماً وممراً على طريق الحرير الذي يمتد إلى الصين ومنارة للحضارة في عدة عصور تعود لآلاف السنين،

وكان رسول الله ﷺ أثناء رحلاته التجارية إلى دمشق (الشام) – قبل أن يُبعث بالرسالة – قد مرَّ ببُصرى وقابل فيها الراهب بحيرى النصراني الذي عرفَ أنه رسول آخر الزمان الذي جاء ذكره في ما بين يديه من الكتب.

وقد ظهرت النار في الحجاز ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م

وقد ذكرها القرطبي في كتابه التذكرة ومؤرخون آخرون في كتبهم [1]

[1] البخاري كتاب الفتن ٤ / ٣٧١ برقم ٧١١٨ ومسلم كتاب الفتن واشراط الساعة

فقد روى أبو هريرة عن رسول الله – ﷺ – أنه قال: ((لا تقوم الساعة حتى تَخرُج نار من أرض الحجاز تضيء أعناقَ الإبل ببُصرى))

فقد أخبَرَ النبي ﷺ عن حادثة عجيبة، من النادر جدًّا وقوعها، ولا يمكن لشخص عادي أن يتوقَّع حدوثَها؛ فقد أخبرنا النبي – ﷺ – أنه سيقع في يوم من الأيام أن تخرج نار عظيمة من أرض الحجاز، تَصِلُ مِن شدتها وقوَّتِها أنها تضيء أعناق الإبل في منطقة بُصرى في أرض الشام .

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ كما أخبر تمامًا في سنة ٦٥٤هـ؛ أي: بعد وفاة النبي ﷺ بما يقرب من ٦٤٤ سنة

قال الإمام المؤرِّخ ابن كثير: "ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة، فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببُصرى، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي في كتابه الذيل

واستحضرَه من كتب كثيرة وردَت مُتواتِرةً إلى دمشق من الحجاز بصفةِ أمرِ هذه النار التي شُوهِدَت مُعايَنةً، وكيفية خروجها وأمرها

---

[1] ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣ / ١٦٢ ، ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٣٩٥

وملخَّص ما أورده أبو شامة أنه قال: وجاء إلى دمشق كتُبٌ من المدينة النبوية – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكُتبَت الكتُب في خامس رجب، والنار بحالها، ووصلَت الكتب إلينا في عاشر شعبان

وقال الإمام المؤرخ شمس الدين الذهبي :

أمر هذه النار مُتواتِر، وهي مما أخبر به المصطفى ﷺ حيث يقول: ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى))، وقد حكى غير واحد ممَّن كان ببُصرى في الليل، ورأى أعناق الإبل في ضوئها

وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها .

قال النووي: (خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة, وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة [1]

[1] شرح مسلم – النووي – ١٨ / ٢٨

ونقل ابن كثير أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى، شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز

وذكر القرطبي ظهور هذه النار وأفاض في وصفها في كتابه (التذكرة)

فذكر أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى) .

وقال ابن حجر: (والذي ظهر لي أن النار المذكورة... هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره)

۞ حصار العراق والشام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

﴿﴿ مَنَعَتْ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا وَمَنَعَتْ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ﴾﴾ [1]

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُه .

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

(كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَجْتَبُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ؟ فَقِيلَ لَهُ وَكَيْفَ تَرَى ذَلِكَ كَائِنًا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ إِي وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ عَنْ قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ . قَالُوا عَمَّ ذَاكَ ؟ قَالَ تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَشُدُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ) [2]

قال النووي رحمه الله :

وفي معنى (مَنَعَتْ الْعِرَاق وَغَيْرهَا قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ) :

---

[1] مسلم ١٨ / ١٩ برقم ٢٨٩٦

[2] البخاري ٢ / ٢٩٩ برقم ٣١٨

احدهما : لإسلامهم ، فتسقط عنهم الجزية ، وهذا قد وُجِد .

والثاني وهو الأشهر معناه ان العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين .

وقد روى مسلم بعد هذا بورقات عن جابر قال :

يُوشِك أَلَّا يَجِيء إِلَيْهِمْ قَفِيز وَلَا دِرْهَم قُلْنَا : مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ ؟ قَالَ مِنْ قِبَل الْعَجَم , يَمْنَعُونَ ذَاكَ . وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله .

وقيل :

لأنهم يرتدّون في آخر الزمان ، فيمنعون ما لزمهم من الزكاة وغيرها .

وقيل :

معناه ان الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان فيمتنعون مما كانوا يؤدونه مما كانوا يؤدونه مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك .

انتهى .

قد يكون الحديث عن او الخوض في تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يختص بما سيقع او سيحدث صعباً لكون الأحداث قد تتكرر وقد تتشابه ، فأحداث التاريخ قد تتكرر وقد تُعاد احداثها .

ولهذا قد ينطبق الحديث وما به من إنباء عن حَدَث واحد او عن حدثين او اكثر كالحديث عن الربا مثلاً فحالاته ما زالت تتكرر ومعاملاته ما زالت تتسع وتتكرر .

والظاهر أن الراجح في تفسير الحديث أن الكفار من الروم والعجم سوف يستولون على ملك المسلمين في هذه البلاد ، بعدما كانت خاضعة لسلطانهم ، فيمنعوا خيرها وخراجها عن المسلمين ، وقد تكرر وقوع هذا الأمر مرات ومرات في التاريخ .

ولا يمكن الجزم بأن حادثة بعينها هي المقصودة بالحديث الشريف ، الا ان العراق شهد حصاراً ظالماً فمُنع الطعام عن الأطفال والنساء والشيوخ ، ومنعت عنه التجارة ، وحتى عائدات نفطه لم تكن تصل اليه .

لكن يظل الجزم بأن الذي حدث للعراق من حصار ومن منع اهله من خيراتهم هو المراد بالحديث تحديدا ، فالجزم بمثل ذلك مخاطرة تسرع فيها كثير من الناس في مثل هذا الباب ، ثم لم يلبث أن تبين خطؤهم وجرأتهم على هذا الباب من العلم .

وإن كان لا يمنع أن يتكرر ذلك مرات ، وأن يكون ذلك واحدا منها . بل قد صنعوا فيها ما هو شر من ذلك ، إذ منعوا خير العراق عن بلاد المسلمين ، ثم

حاصروا العراق وأهله ، ومنعوا الخير عنهم ، ومنعوهم الانتفاع بخيرهم ، حتى هلك من هلك من الأطفال ، فضلا عن النساء والرجال

۞ القتل بلا سبب

عن أبي هريرة ﵁ ان رسول الله ﷺ قال

﴿﴿ والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتَلَ ولا المقتول في أي شيء قُتِلَ

قيل يا رسول الله كيف يكون ذلك ؟

قال : الهرج ، القاتل والمقتول في النار .﴾﴾

قال الله تعالى :

{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }النساء٩٣

ان التشديد في العقوبة تبيّن شدة الذنب ، فكان دخول جهنم والخلود فيها وغضب الله ولعنته ، ثم توعّد الله للقاتل بعذاب عظيم ، أعاذنا الله من ذلك .

وجاء القتل في سورة الفرقان بعد الشرك بالله تعالى تبياناً لتشديد التحذير من ان يقع فيه المسلم :

((وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً)) الفرقان٦٨

فكان القتل قريباً من الشرك بالله او يأتي بعده في النهي والتحذير .

وكان نزول الآية الكريمة مصداقاً لقول رسول الله ﷺ حين سأله رجل :

(أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟

قال ان تجعل لله نداً [1] وهو خلقك .

قال : ثم أي ؟

قال : ان تقتل ولدك خشية أن يُطعم معك .قال : ثم أي ؟

قال : ان تزني بحليلة جارك) [2]

وقد حرّم الله سبحانه وتعالى القتل في كل الشرائع السماوية ، التي سبقت الإسلام حتى صار قتل شخص بلا سبب أشبه بقتل كل الناس .

قال الله عز وجل :

((مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)) المائدة ٣٢

وحرّم الاسلام القتل وجعل على القاتل قصاصاً في الدنيا وعقوبة النار في الآخرة .

---

[1] المماثل في المكانة والقدرة والتعظيم

[2] رواه البخاري ٤ / ١٦٢٦ برقم ٤٢٠٧ و مسند الامام احمد ١ / ٣٨٠ برقم ٣٦١٢

قال ﷺ تحذيراً وتنبيهاً من القتل :

(اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار .

قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟

قال : لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه) [١]

كما ان الرسول الكريم ﷺ أوصى في خطبة الداع :

(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [٢]

وقال ﷺ :

(لا يزال العبد في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراما) [٣]

والكثير من الأحاديث والآيات التي حذرت من القتل .

ورغم كل تلك التحذيرات والنهي والتخويف من رسول الله حتى انه صلى الله عليه وسلم قال :

والذي نفسي بيده لقتل مؤمن اعظم عند الله من زوال الدنيا [٤]

---

[١] مسند الإمام احمد ٤ / ٤٠١ برقم ١٩٦٠٥

[٢] البخاري ٢ / ٦١٩ برقم ١٦٥٢ و مسند الامام احمد ١ / ٢٣٠ برقم ٢٠٣٦

[٣] البخاري ٦ / ٢٥١٧ برقم ٦٤٦٩ و مسند الامام احمد ٢ / ٩٤ برقم ٥٦٨١

[٤] سنن النسائي ٧ / ٨٢ برقم ٣٩٨٦ و سنن البيهقي٨ / ٢٢ برقم ١٥٦٤٧

رغم كل التحذير والنهي الا ان القتل لم يقع ويؤتى فقط بل انه انتشر واستشرى.

حروب يُقتل فيها الاف وملايين ، جيوش تساق الى حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، الا انهم يشتركون فيها والكثير منهم يكون وقودها .

فلا القاتل يعرف المقتول ولا يدري على ماذا يقتله ، ولا المقتول يعرف قاتله .

ثم هناك الفتن غرقت فيها المجتمعات ، يقتلون تعصباً لفكرة او مذهب او تفسير ، يقتلون وهم لا يعرفون عموم مذهبهم ولا ابعاده ولا حتى محاسنه ، انما تعصباً لما وجدوا عليه آبائهم ، ولا حتى يعرفون شيئاً عن الذي يؤمن به من قتلوه .

صار القتل على الاسم وعلى الهوية ، وقد يقع القتل بسبب المنطقة التي يسكنها .

وطل ذلك وقع ، وكل ذلك لمسناه وعشناه .

القتل البشع انتشر ، واعتاده وأدمنه الكثيرون .

ربما تعجّب الصحابة حين سمعوا حديث رسول الله صلى الله عليه فحتى الحيوان لا يقتل الا لسبب في الغالب ، إلا انهم صدّقوه ، صدّقوه لأنه قول الصادق .

أما نحن فقد لمسناه وعشناه ، وربما سيزيد ويطغى .

۞ الاستئثار بأموال المسلمين

﴿﴿ عن ابي ذر ﷺ ان رسول الله ﷺ قال :

كيف أنتم وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء ؟ [1]

قلت : اذن والذي بعثك بالحق اضع سيفي على عاتقي ثم أضرب حتى ألقاك .

قال : اولا أدلك على خير من ذلك ؟ تصبر حتى تلقاني ﴾﴾ [2]

عائدات الدولة ومواردها حق للشعوب ، والولاة هم المستأمنون على هذه الأموال يوظفوها لما فيه خير المجتمع والناس ، فيُنشئون المصانع والمشاريع التي تجعل حياة الناس أكثر رفاهية وأكثر سعادة فيبنوا المستشفيات ويشقون الطرق ويعملوا كل ما من شأنه ان يعود بالنفع على المجتمع بكل طبقاته وشرائحه .

الأساس هو الشعب ومصلحته ، فالأموال أموال الشعب وكل العائدات مُلكٌ للشعب ... أما الولاة فهم مُستخلفون في هذه الأموال ومؤتمنون عليها ، يوجهوها بالاتجاه الذي يعود بالنفع على المجتمع .

الوالي هو جزء من المجتمع له مالهم وعليه ما عليهم .

---

[1] الفيء : اموال الدولة ومواردها

[2] مسلم ٩ / ٧ برقم ٢٩٤٨

ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، بين الشعب والوالي .

او هكذا يجب ان تكون .

لكن الذي حصل ان الولاة استحوذوا على عائدات بلدانهم فوظفوها لمصالحهم.

عاشوا حياة البذخ وحياة الأحلام ، قصور وضيعات وحدائق ومنتجعات ، سيارات فاخرة وجيش من الرجال يحميهم .

اصبح كل ما البلاد مسخّر لخدمتهم ، وليعيشوا برفاهية .

ازدادوا غنى .

والشعب ازداد فقراً .

صاروا آلهة والشعب تابع او ربما مجموعة من عبيد يعطيهم السيّد ما زاد عن حاجته من الفيء .

وليس الوالي هو من يشكوا التخمة بل كل من حوله وكل عائلته .

وذلك ما أنبأ به الرسول الصادق ﷺ .

۞ رفع البركة من الزرع

قال رسول الله ﷺ :

﴿﴿ ليست السَّنة [1] بألا تمطروا ، ولكن السَّنة أن تُمطروا ثم تُمطروا ولا تنبت الأرض شيئاً ﴾﴾ [2]

كان الناس تستبشر بالمطر .

المطر خير الله الذي يحمل معه البشارة بخير الأرض .

ينتشر العشب اذا أمطرت ، وتعطي الأرض خيراتها من ثمار وزروع وفواكه .

المطر مؤشر على الخصب وازدياد الخير والنماء .

كل ذلك كان ، وعاشه الناس .

عاشوا العلاقة بين المطر وبين وفرة المحصول ، بين المطر والشبع ، بين المطر ورغد العيش .

لكن ، وكأن البركة رُفعت من الزرع ، فلم تعد الأرض تجود بما يكفي او يسد الحاجة .

تكاثرت الأمراض التي تفتك بالزرع وتقتل الثمر .

---

[1] الجدب والقحط

[2] مسلم ٤ / ٢٨٨٨ برقم ٢٩٠٤

وهجر الكثيرون مهنة الفلاحة وتوجهوا للعمل في المدن .

فلم تعد العلاقة القديمة بين الزرع والمطر هي نفس العلاقة .

واحياناً كانت الأمطار تحمل معها الخوف من الفيضانات والتي قد تقتل الزرع بدل تكاثره .

هذه العلاقة بين المطر وبين الزرع تحدث عنها رسول الله ﷺ .

ومؤكد ان الأرض سيزداد جدبها وتقل خصوبتها فيما سيأتي .

۞ تصديق الكاذب وتكذيب الصادق

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

﴿ سيأتي على الناس سنوات خداعات – وفي رواية سنون خداعة – يُصدّق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوّن فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة .

قيل وما الرويبضة ؟

قال الرجل التافه (وفي رواية السفيه)يتكلم في أمر العامة ﴾[1]

أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث: تنبأ رسول الله ﷺ بأن المقاييس التي يقوم عليها معرفة الرجال وانزالهم ما يستحقون من منزلة سوف تختل قبل قيام الساعة، فيقبل قول الكذَّاب ويصدق، ويرد قول الصادق، ويؤتمن الخونة على

---

[1] مسند الامام احمد ٢ / ٢٩١ برقم ٧٨٩٩ و سنن ابن ماجة ٣ / ١٢٣٩ برقم ٤٠٣٦ ومجمع الزوائد ٧ / ٢٨٣ والسلسلة الصحيحة: ١٨٨٨ وصحيح الجامع: ٣٦٥٠

الأموال والأعراض، ويُخوَّن الأمناء ويتهمون، ويتكلَّم التافهون من الرجال في القضايا التي تهم عامة الناس وقد كان كما أخبر النبي ﷺ .

والتكلم بأمر العامة يعني تولي أمور الناس والتصدي للحكم وللزعامة والرياسة .

كما ان الناس ستسير خلفهم ويفوضوه في أمور الرعية ، وسيصدّقوهم ويعملون بقولهم ، رغم انهم كاذبون ، والصادق الأمين سيُكذّب ولا يولّى أمراً .

وقد يكون مرد ذلك لتمكن الكذّابين من وسائل الإعلام التي تمتلك القدرة على الاقناع وتغيير القناعات لدى الناس ، فتصور الكاذب كصادق وتدعو لتصديقه ، وستُفلح في ذلك .

وستصوّر الصادق بأنه غير امين على مصالح الناس ، وستُصدَّق بذلك .

وستُجمِّل للناس كلام التافهين من الرجال وتزيّنه وتدعو لاتّباعه ، وسيُتَّبع وهذا ما نراه اليوم كثيراً ، وما انتشر ، والأمثلة حولنا كثيرة .

۞ ظهور الفحش والتفاحش

عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله ﷺ قال :

﴿﴿ لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الأرحام وسوء المجاورة ، وحتى يؤتمن الخائن ويُخوّن الأمين .

ألا ان موعدكم حوضي عرضه وطوله واحد ، وهو كما بين آيلة ومكة ، وهو مسيرة شهر فيه مثل النجوم أباريق ، شرابه أشد بياضاً من الفضّة ، من شرب منه مشرباً لم يظمأ بعده أبداً ﴾﴾ [1]

والفاحشة كما وردت في القران الكريم :

﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [2]

(واللاتي يأتين الفاحشة) المراد بالفاحشة هنا الزنا او احد اشكاله .

وعن الشيخ محمود الرنكوسي أن المراد بها السحاق لأن الآيات الواردة في عقوبة الزنا أتت في سورة النور.

---

[1] مسند الامام احمد ٢ / ١٦٢ برقم ٦٥١٤

[2] النساء ١٥

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾[1]

الفعلة المنكرة التي بلغت نهاية القبح وهي اللواطة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [2]

شيوع الفاحشة في المسلمين من قَذْف بالزنى او الزنا نفسه أو أي قول او فعل سيّئ لا يرضاه الله .

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [3]

أتأتون الفعلة المتناهية في القبح وهي اللواطة

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [4]

(لتأتون الفاحشة) أدبار الرجال

أما معاجم اللغة العربية فقد حددت معنى الفاحشة :

فَحَشَ (فعل) يفحش فُحشاً فهو فاحش وفحّاش .

---

[1] الأعراف٨٠

[2] النور١٩

[3] النمل٥٤

[4] العنكبوت٢٨

فَحَشَ القول او الفعل اشتد قُبحه ، واشتد وتجاوز الحدود ، وفي الحديث الشريف (ما كان الفحش في شيء الا شانه)

(والفُحْشُ بضم الفاء وسكون الحاء وبالشين المعجمة وأصله كل ما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصي كما في نهاية ابن الأثير)

وتفاحَشَ الناس : قذف ورمى بعضهم بعضاً بالفحش او اظهروه ،.

تفاحُش (اسم) : مصدر تفاحَشَ وهو المبالغة في الفُحْشِ .

تفاحش يتفاحش تفاحشاً فهو متفاحش .

وفي شرح البخاري للحافظ ابن حجر : الفُحْشُ كل ما خرج عن مقداره حتى يُستقبَح ويُذَم ، ويدخل في القول والفعل والصفة .

يقال طويل فاحش الطول اذا افرط في طوله ، لكن استعماله في القول اكثر ويكون المراد به الكلام القبيح .

اخرج الطبراني في الصغير و ابو الشيخ عن ام المؤمنين عائشة ﵂ ان رسول الله ﷺ قال :

يا عائشة لو كان الحياء رجلاً لكان رجلاً صالحاً ، ولو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء) .

فالفحش كل ما يشتد قُبحُه من الذنوب والمعاصي والفجور .

والتفاحش تبادل الفحش او إظهاره .

وهذا الحديث الشريف بإسناده الصحيح اخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك عن ابي هريرة ﷺ .

وأخرجه الامام احمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو ﷺ .

وأخرجه الطبراني وحسّنه عن أنس ﷺ .

ولقد تحقق كلما أنبأ به صادق الوعد ﷺ كما صدق فيما سواه .

فالفحش ظهر وعمّ واستشرى وبأكثر مما يتخيل المرء .

فالمجون والأفلام الداعرة وغير الأخلاقية صارت لها قنوات تلفزيونية تبث على مدار الساعة .

والأفلام الإباحية تباع على الأرصفة ، وتنتشر عبر الانترنيت وبلا حياء ، وحتى محترفات البغاء صرن نجمات تُجرى معهن لقاءات تلفزيونية تُبثُّ و لهن متابعين .

وكذا باقي الأفلام والممارسات غير الأخلاقية مما يخجل المسلم من الحديث عنه.

صار المجون والفُحْشُ ثقافة وفنٌ له اصول ومدارس .

وصار للفحش دعايات واعلانات ترويجية تُغري به .

كما صارت البذاءة في القول حالة طبيعية ، ففي أي شجار تسمع ما لا يرضاه الله ، ويستحي منه سامِعَه .

وصار قذف المحصنات سلعة رائجة لا يُحاسب عليها ولا تُستنكر .

أخرج الامام احمد في مسنده وابو داود بسند صحيح عن أبي البَخْتَرِيَّ الطائي

انه قال : اخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ :

(لن يَهلِكَ الناس حتى يَعْذِرُوا [1] من أنفسهم)

صدق رسول الله ﷺ استشرت الفواحش وانتشر التفاحش ، فأصبحت اشكال

الهلكة تتناوب على الأمة .

نسأل الله العفو والعافية .

الاسلام يدعو لحُسن الخلق ، والحياء من حُسن الخلق .

اورد ابو داود من حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال :

(ان المؤمن ليدرك بحُسن خُلُقه درجة الصائم القائم) .

اما قطيعة الأرحام فقد لمسها الجميع ، فصار طبيعياً ان نسمع عن ابنٍ يرمي

أبيه في دار العجزة ، و ابنة تضع امها في دار عجزة .

صار الأخ يختلف مع أخيه فيقاطعه فلا يتبادلان الكلام ولا حتى السلام .

وصار الأخ لا يعرف عن احوال أخته الا ما يسمعه في الهاتف المحمول .

وكم من ابٍ يوصي بإرثه لبعض ابناءه ويحرم اخرين .

---

[1] يعذروا : أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم .

انه زمن اللهاث خلف المصالح ، حتى صار الكثيرون لا يعرفون اباً ولا أخاً ولا قريب في زحمة البحث عن المكاسب او السعي خلف المصالح .

كل ذلك شهدناه وعشناه كما عشنا ضياع القيم واختلال الموازين ، الخائنون تصدّوا للزعامات وقادوا مجتمعات .

احزاب يقودها منحرفون وسُرّاقٍ تقود مجتمعات وتشترك في الانتخابات وتزوّر النتائج ، فتقود المجتمع وتخطط له ، صار الخائن واللص أميناً مؤتمناً على مصالح الناس .

أما الأمين والصادق فمكانه السجون أو الانزواء والتنحي ، فلا أحد يأتمنه او يسلمه سلطة او قيادة فالمكان محجوز للفاسدين .

وكل ذلك قد أخبر وأنبأ بحصوله رسول الله ﷺ .

وحتى لا يستحوذ اليأس على النفوس ، وحتى لا تضيع السُبُلُ وتختلط الرؤى ، فإن رسول الله ﷺ وهو المربي وهو الرؤوف الرحيم يرسم للناس سُبُل الخلاص ويفتح للناس باب الأمل .

فمهما كثر الخبث ومهما زاد الألم ، فإن الدنيا فانية وهي زرع للآخرة .

الموعد على حوض الرسول ﷺ .

وما أجمله من موعد .

فلتذهب الدنيا بكل زخارفها وبكل ما فيها ، فهي وبكل ما فيها من مفاتن والوان برّاقة وما فيها من مغريات لا تَعْدِلُ لحظة ينظر فيها المؤمن الى وجه الحبيب ﷺ .

ما أجمله من موعد وما أحلاه من لقاء ، لقاء بكل الجمال وبكل النور وبكل البهاء انه لقاء بالنبي ﷺ فأي المٍ سيبقى وأي معاناة سيذكرها من ينظر في وجه الحبيب المصطفى ، فالمحروم من حُرِمَ لذة ذاك اللقاء .

والخاسر من لم يلتقي بك يا كعبة الأرواح وقِبلَتها .

نسأل الله من فضله ومن جوده ومن رحمته ان نكون من الذين يلتقون نبيهم على الحوض ويتشرفون بلقائه .

۞ فتح بيت المقدس وطاعون عمواس

روى البخاري في صحيحه من حديث عوف بن مالك ﵁ قال:

﴿﴿ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ [1] وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يأخذ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فيأتونكم تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً [2]، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ﴾﴾ [3]

موت النبي ﷺ، وقد كان ذلك من أعظم المصائب التي ابتُلِيَ بها المسلمون، ولن يُبتَلَوا بمصيبة أعظم من وفاته. روى الترمذي في سننه من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ،

---

[1] حدثت في غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة ، وتبوك في أقصى شمال الجزيرة العربية ، في منتصف الطريق الى دمشق ، حيث تبعد من الحجاز ما يقارب (١٢٥٢ كم) وكانت آخر غزوة غزاها صلَّى الله عليه وسلَّم بنَفْسِه مع الرُّومِ

[2] الغايةُ: هي الرَّايةُ، وسُمِّيتْ بذلك؛ لِأنَّها غايةُ المتَّبِعِ؛ إذا وَقَفتْ وَقَفَ، وإذا مَشَتْ مَشى

[3] برقم ٣١٧٦ و صحيح الجامع برقم ١٠٤٥

حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا [1]

وروى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»[2]

وهذا الحديث يتضمن أكثر من اعجاز ، فكل الذي ذكره سيدنا رسول الله ﷺ وقع ، او سيقع بعد موته ﷺ ولم يسبق أيٍ منها وفاته .

ثم حدث فتح بيت المقدس كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ .

حين قال بفتح بيت المقدس : وقد تحقق .

ففي عهد عمر بن الخطاب ﷺ تم فتح بيت المقدس سنة (١٦ هـ) ، كما ذكر ذلك أئمة السير، فقد ذهب عمر بنفسه وصالح أهلها، وفتحها وطهرها من اليهود والنصارى، وبنى بها مسجدًا في قبلة بيت المقدس .

وأما قوله عن موت كقعاص [3] الغنم : فقد قال ابن حجر: «يُقال إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس[1] .

---

[1] برقم (٣٦١٨) ، وقال ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح

[2] (١/ ٥٣) برقم ٨٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٤٧

[3] قُعاص: بالضم، داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة

في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس [2] ، ففي سنة (١٨ هـ) وقع طاعون عمواس في بلاد الشام فمات فيه خلق كثير من الصحابة ﵃، ومن غيرهم، قيل عدد من مات فيه خمسة وعشرون ألفًا من المسلمين»

والظاهر ان هذا الداء والعياذ بالله من شأنه ان يقتل فجأة وبدون ان يرقد المصاب به طويلاً ، وهذا النوع من الأمراض لم يكن معهوداً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ووقت ان قال فيه حديثه المبارك هذا .

(ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا)

وفي حياة النبي ﷺ كان المال قليل وقيمته عالية ولا يملكه إلا الأغنياء او من يشتغل بالتجارة ، فكان من امتلك المئة دينار قد امتلك مبلغاً ضخماً وثروة مهمة ، وجاءت نبوءة المصطفى لتحكي عن زمن سيكثر المال فيه فلا تعود للمئة دينار قيمة كبيرة فلا تشكل لمن تعطى له حدثاً مُفرحاً ، انه حديث عن التضخم المالي ، حيث وِفرَة النقود وقِلَّة البضائع التي يمكن ان تُشترى بها ، أي انخفاض قيمة النقد ، وهذا ما حصل ، والذي يحصل حولنا .

---

[1] عمواس: بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة، على طريق بيت المقدس. معجم البلدان (٤/ ١٥٧)

[2] فتح الباري (٦/ ٢٧٨)

(ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ)

ذكر ابن منظور في معنى الفتنة: "الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد".

حين كنت صغيراً لطالما استوقفتني مسألة الفتنة التي تدخل كل بيت ، اختبار يدخل جميع بيوت المسلمين ، وحين قرأت كتب التفسير وجدت الكثير من المفسرين يذهبون لما ذهب اليه الحافظ ابن حجر في الفتح حين قال : والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان، واستمرت الفتنة بعده .

وغيره قال انها الفتنة التي ابتلي فيها المسلمون في القتال الذي دار بين جيش الإمام علي ومعاوية .

ولم أشعر حينها بأن هذه الفتن على عمومها قد دخلت كل البيوت ، أو شملت جميع المسلمين ، والحديث يكون عن بيوت المسلمين وليس عن رجال المسلمين ، فالبيت فيه المرأة والصغير والفتاة والشاب ، وصاحب الدار ، وظل هذا الجزء من الحديث بقلبي يسبب فهمه عقدة مستعصية التجاوز .

ويوم ظهر الإنترنيت والستلايت ، صار بإمكان الصغير والكبير ، والفتاة والفتى ان يشاهد ما يشاء ، وقت يشاء ، ولم يُحرم بيت من هذه الفتنة او الإختبار ، انه اختبار دخل كل البيوت ، يتضح منه من التزم وتذَكَّر ، ومن نسيَ وضَيَّع .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[1]،

إذاً فالهدف واضح وجلي، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يكشف المؤمن الصادق من الكاذب، وهو تعالى أعلم بهم فهو علام الغيوب، ولكن الله يريد أن يظهر ويكشف للناس المؤمن الحق من المؤمن الكاذب، فيزداد المؤمن القوي إيماناً وقوةً، وينكشف أمر المنافق والمخادع، فينقى الصف المؤمن من الدخن والوهن.

ان هذه الفتنة دخلت كل بيت فأصبح العُري والإباحية متوفراً للجميع ، مثلما أصبح العلم وتوفر المصادر البحثية متوفرة ، وبذات الجهاز ، وبذات الوقت ... انه فتنة واختبار .

قوله ﷺ : (ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فيأتونكم تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا)

((أما بنو الأصفر فهم الروم، والخطاب يخص المخاطبين وهم العرب، ولعل هذه الهدنة المذكورة هي الصلح المذكور في حديث ذي مخبر الآتي، وقد جاء تفصيلها وبيان القدر الذي يقع بعدها، وما يتبع ذلك من قيام الملحمة الكبرى في جملة

---

[1] العنكبوت:٢و٣

أحاديث ، حيث يصالح العرب المسلمون الروم، ثم ينشأ عدوًا مشتركًا بينهما فيجتمع الطرفان على قتاله فينتصرون عليه، وفي نشوة النصر يقوم قائم من الروم ويرفع راية الصليب زاعمًا أن انتصارهم به، فينتبه بعض المسلمين الذين كانوا يقاتلون، ويغضب من هذه الدعوى الشركية فيكسر الصليب ، ويعلن أن النصر من الله وحده ، فيقوم النصارى إلى كاسر الصليب فيقتلونه، فتقع بعد ذلك مناوشة بين النصارى والفرق المسلمة القريبة منهم، فيقتلهم النصارى، وحينئذ يقع الخلاف بين العرب المسلمين والنصارى، فيذهب النصارى فيجتمعون في الأعماق، وهو سهل فسيح يقع بالقرب من حلب .

وفي أثناء استعداد الروم لجمع ذلك الجيش يقوم خليفة صالح للمسلمين ولعله المهدي لإعداد جيش قوامه سبعون ألف هم خير جيش على وجه الأرض، ويخرج ذلك الجيش من المدينة النبوية فيصطدم بجيش الروم، وبعد قتال عظيم ينتصر عليهم، فيسير ذلك الخليفة بجيشه المنتصر حتى يفتح القسطنطينية، وروما التي تسمى اليوم الفاتيكان، بعد ذلك يُشاع فيهم أن الدجال خلفكم، فيعودون إلى دمشق معقل الإسلام .

فبينما هم محصورون إذ جاءهم الفرج بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيأتي المسلمين المجاهدين فيمسح عن وجوههم،

ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، ويصلي معهم خلف إمامهم، وبعدها ينطلق عليه السلام لقتل الدجال فيدركه وقد هرب منه إلى باب لد [1]

فيقتله هناك ويقتل المسلمون أتباعه اليهود ويعينهم الحجر، والشجر حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله))[2]

والأحاديث النبوية المتعلقة بهذه الملاحم والمعارك منها :

١ - روى أبو داود في سننه من حديث جبير بن نفير عن الهدنة قال: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الْهُدْنَةِ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَاءِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَرْجِعُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ ؛ فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ» [3]

---

[1] اب لد: هو باب من أبواب مدينة القدس يتجه نحو مدينة اللد

[2] الدرر المنتقاة ٨ / ٢٢١ - ٢٢٢

[3] برقم (٤٢٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣/ ٨٠٩) برقم ٣٦٠٧

٢ – روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ ([1])، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُوهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَءاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[2]

٣– روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا

[1] موضعان بالشام بالقرب من حلب

[2] برقم (٢٨٩٧)

(وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ)، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ ([1])، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ([2])، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ؛ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ ([3]) بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ ([4])،

فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِئَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ ؟

---

[1] أي: للحرب والقتال وهذا إنما يكون بعد غدر الروم المشار إليه في الحديث السابق

[2] الشرطة بضم الشين: أول طائفة من الجيش يشهد الواقعة ويتقدم

[3] أي: تقدموا إليهم ونهضوا

[4] الدبرة، أي: الدولة والظفر والنصرة

أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ سَمِعُوا بِبَاسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ» [١]

---

[١] برقم (٢٨٩٩)

۞ إخبار رسول الله ﷺ بإنشاء البصرة

عن أنس أن النبي -ﷺ- قال له:

﴿﴿ يا أَنَسُ ، إنَّ الناسَ يَمَصِّرُونَ أَمْصَارًا ، وإنَّ مِصْرًا منها يُقالُ لها البَصْرَةُ ، أو البصيرةُ ، فإن مَرَرْتَ بها أو دَخَلْتَها ، فإياكَ وسِبَاخَها ، وكِلاءَها ، وسُوقَها ، وبابَ أُمَرَائِها ، وعليكَ بضَواحِيها فإنه يكونُ بها خَسْفٌ ، وقَذْفٌ ورَجْفٌ ، وقومٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وخَنازِيرَ ﴾﴾[1]

هنا في هذا الحديث: « إن الناس يمصرون أمصارا » و (يمصرون) -يعني- يتخذون بلدانا ويختطون بلدانا، والمصر غير القرية والمدينة، المصر هي البلد الكبير ومنها قول الله تعالى ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾

(يمصرون أمصارا)، والبصرة والكوفة مما مصَّره المسلمون وأنشأوه، أنشأوا هذين البلدين لما صارت العراق بلد إسلام وفتحها المسلمون حيث اختطوا هاتين البلدتين البصرة والكوفة، واشتهرتا.

وإن من هذه الأمصار التي يمصرها الناس أرضا يقال لها البصرة أو البصيرة، فإذا مررت بها فلا تدخل كذا سباخها ولا كلاءها ولا أسواقها ولا أبواب أمرائها؛ لأن كل هذه المواضع يكثر فيها الشر، فمثل الأسواق: هيشات الأسواق،

[1] أخرجه أبو داود في الملاحم (٤٣٠٧) واللفظ له ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٨٥٩ و واورده ابن كثير في البداية ١٠/ ١٠٢

وأبغض البلاد إلى الله أسواقها لأنها تكون محل اللغو ومحل المنكر؛ كما يشهد به الواقع قديما وحديثاً وحالاً.

ذكر أن قوما من أهل هذه البلد يبيَّتون فيصبحون قردة وخنازير، يمسخون مسخا، وأنه يصيب أهلها القذف وهو الرمي بالحجارة والمسخ ، وهذه الله أعلم بحقائق ذلك ومتى؟ هل كان شيء من ذلك؟ أو أنَّ هذا سيكون؟ والبصرة الآن بلدة مشهورة في جنوب العراق ، حيث تحقق ما أخبر به النبي الصادق صلى الله عليه وسلم قبل ان تُخَطُّ البصرة او تُعرف أو تُنشأ.

۞ رسول الله ﷺ يُخبر بخلافة أبي بكر له

عن جبير بن مطعم قال :

﴿﴿ أنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ شيئًا، فأمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إلَيْهِ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ ؟ قالَ أَبِي: كَأنَّهَا تَعْنِي المَوْتَ، قالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : إنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتي أبَا بَكْرٍ ﴾﴾

وفي روايةٍ :

﴿﴿ أنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَكَلَّمَتْهُ في شيءٍ، فأمَرَهَا، بأَمْرٍ ﴾﴾[1]

وهذا إخبار من النبي ﷺ بأن أبا بكر سيكون خليفته وأميراً للمؤمنين بعده .

وهذا ما كان ، وصدق رسول الله ﷺ فهذا إخْبارٌ بالغَيبِ الَّذي أعلَمَه اللهُ به .

---

[1] صحيح مسلم برقم : ٢٣٨٦ وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٢٢٠) وصحيح ابن حبان برقم ٦٨٧٢

۞ كثرة أصناف الطعام وكثرة الملابس

عن مُحَّد بن كعب القرظي، قال حدثني من سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، يَقُولُ : ﴿﴿ إِنَّا لَجُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المِسْجِدِ إِذْ طَلَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مَا عَلَيْهِ إِلَّا بُرْدَةٌ لَهُ مَرْقُوعَةٌ بِفَرْوٍ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى لِلَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالَّذِي هُوَ اليَوْمَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" كَيْفَ بِكُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحَ فِي حُلَّةٍ وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَرُفِعَتْ أُخْرَى وَسَتَرْتُمْ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الكَعْبَةُ " ؟

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا اليَوْمَ نَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ وَنُكْفَى المؤْنَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأَنْتُمُ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ " ﴾﴾ [١]

كان هذا الحديث في زمن ربّى فيه رسول الله ﷺ كلَّ الرجال من حوله على الزهد في الدنيا وترك ملّاذها والتوجّه بقلوبهم الى الله سبحانه وتعالى ، فحبُّ الله مَلَكَ عليهم قلوبهم حتى تركوا ما سواه ، فكانوا يتخففون من المتاع الزائل ما

---

[١] سنن الترمذي ٤ / ٦١ برقم ٢٩٥٤ ومسند احمد باب مسند علي بن ابي طالب ﷺ برقم ٦٧٦ و سنن ابن ماجة باب الرجل يستقي كل دلو بتمرة برقم ٢٤٥٩ و ضعيف الترهيب برقم ١٩٢١

استطاعوا ، ويؤثرون ، ويتصدقون ، ويرضون من الطعام بقليله ، وربما ببضع تمرات تكفيهم مؤنة يوم كامل ،

وربما لم يجدوها .

ومما يدل على قِلَّة الطعام ونُدرته في وقت الحديث ، ما جاء في حديث رسول الله ﷺ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلَّا الماء. فقال رسول الله ﷺ: مَن يضمُّ- أو يضيف- هذا؟ فقال رجل مِن الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندنا إلَّا قوت صبياني. فقال: هيِّئي طعامك، وأصبحي سراجك[1]، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيَّأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوَّمت صبيانها، ثمَّ قامت كأنَّها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنَّهما يأكلان، فباتا طاويين[2]، فلمَّا أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ضحك الله اللَّيلة- أو عجب مِن فعالكما-، فأنزل الله:

[1] أي اوقديه وأنيريه

[2] باتا جائعين من غير عشاء

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الحشر:٩))) [١]

هكذا كان حالهم ، بيوت رسول الله ﷺ لم يكن بها من طعام يؤكل فليس بها غير الماء مما يعني ان رسول الله ﷺ وزوجاته سيبيتون بلا عشاء ، وأن الصحابي (ابو طلحة) الذي انطلق بالضيف لم يكن في بيته سوى طعام أطفاله ، فيقول لزوجته (أكرمي ضيف رسول الله ﷺ) فينسب الضيف الى رسول الله ليشحذ همتها ، ويسمو بقدرتها على الإيثار والكرم .

ومن حديث عبد الله بن الزبير عن عائشة أنّها قالت: قال لي رسول الله، صَلَّى الله عليه وسلم: "يا عائشة إن أردتِ اللحوق بي فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب، وإيّاك ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلقي ثوبًا حتى ترقعيه"[٢]

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فجاءته امرأة من الأنصار، فقالت: إكسني يا أمير المؤمنين.

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب مناقب الأنصار ٧ / ١٤٩ برقم ٣٥٨٧ و صحيح ابن حبان

برقم: ٥٢٨٦

[٢] سنن الترمذي كتاب اللباس عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في ترقيع الثوب رقم الحديث ١٧٠٢

فقال: ما هذا أوان كسوتك.

قالت: و الله ما عليَّ ثوب يواريني.

قال: فقام عمر فدخل خزائنه، فأخرج درعا قد خيط أبيض، و جاءت فألقاه عليها، و قال:

هذا البسي، و انظري خلقك فارقعيه، و خيطيه و البسيه على برمتك و عملك، فإنه لا جديد لمن لا خلق له. [1]

كان لباسهم ثياب مرقوعة ، ولم يلبسوا جديد حتى يُبلى ثوبهم القديم وتكثر فيه الرقع ، وهذا حال الخلفاء الراشدين الذين تحت إمرتهم خزائن المسلمين وبيت مالهم ، ومن ذلك ما جاء في كتاب "الذهب المسبوك في ذكر مَن حج من الخلفاء والملوك"، للمؤرخ المصري المقريزي (قال أبو عثمان النهدي: رأيت عمر يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب ، وقال علي بن أبي طالب: رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى وعشرون رقعة فيها من أدم)

(وقد خطب عمر ﵁ الناس ، وهو خليفة ، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة)[2]

وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة ، إحداهن بأدم أحمر [1]

---

[1] سيرة عمر بن الخطاب ص ٥٦

[2] عمر بن الخطاب شخصيته وعصره ص ١٤٦

في هذا الجو المليء بالفقر والتخفف من المتاع الزائل ، يجيء هذا الحديث مخالفاً لكل ما كان يعيشه المجتمع الإسلامي وقتها .

وتمضي الأيام والسنين ، وتحمل صِدق ما قال الرسول بأنه سيقع ويحصل ، فيكثر الطعام على موائد المسلمين ، ويكثر ما يخزّنونه من أنواع الطعام ، وتتعدد الصِحاف على الموائد وتتنوع الأصناف .

أما الملابس فتنوعت وتكاثرت وصار الرجل يذهب ببدلة ثم يغيرها سريعاً ، حتى انهم ليبدّلون ملابسهم في اليوم اكثر من مرة ، فيذهبون صباحاً بملابس ، ويغيرونها آخر النهار ، ومُلئت خزانات الملابس بالثياب التي يُرمى الكثير منها وهو جديد وحتى ان بعضها لم يُلبس لأن دور الأزياء طلعت بملابس أخرى.

والبيوت التي تُنشأ لإيواء الناس وحفظهم أصبحت وقد علتها الزينة والنقوش وتحقق اليوم ما كان في الأمس مستحيلاً .

وفي الحديث تحذير من ترك الزهد والإقبال على الدنيا ، وان الفقير الذي له كفاف خير من الغني المنشغل بالمال ، وان الفقير الصابر خير من الغني

---

[1] الطبقات الكبرى ٣ / ٣٢٨ إسناده صحيح

(الشاكر) ... وبمثل هذا جاء في حديثه صلّى الله عليه وسلم (ما زويت الدنيا عن أحد إلا كانت خيرة له) [1]

فصلّى الله على رسوله الذي لا يُخبِرُ إلا صدقاً ولا يقول إلا عن ربٍّ عليم .

[1] مسند الفردوس ٤ / ٦٨ برقم ٦٢١٣

۞ التحذير من التكبر

حذّر ﷺ الأمة من أنهم ﴿﴿ اذا مشوا المطَيطاء[1] وخَدَمَتْهم بناتُ فارس والروم ردَّ الله بأسَهُم بينهم وسلّط شِرارَهم على خِيارِهم ﴾﴾ [2]

ومن حديث عبد الله بن عمر الذي صححه الألباني في صحيح الجامع :

إذا مَشت أُمَّتي الْمُطَيطَاءَ ، و خدَمَها أبناءُ الملوكِ أبناءُ فارسٍ و الرومِ ، سُلِّطَ شرارُها على خيارِها [3]

في هذا الحديثِ يقول رسول اللهِ صلَّى الله عليه وسلم: "إذا مشَتْ أمَّتي المطَيطاءَ"، مِن التَّمطِّي، أي: مِشيَةً فيها تَبختُرٌ، وتكبُّرٌ، ومدٌّ لليدين، وإعجابٌ بالنَّفس، وهذا كنوعٍ مِن الفساد الذي يَظهر بالأُمَّة مُقابل ما فَتَحَ به اللهُ عليهم مِن النِّعَمِ، "وخَدَمَها"، أي: قام

بخدمتها وتحت أمرها، "أبناءُ الملوكِ أبناءُ فارِسَ" وذلك بعد فتح بلادهم وسَبْيِ أولادِهم، "والرُّومِ"، أي: وأبناء الرُّوم أيضاً، وغيرُهم مِن أبناء الملوك، "سُلِّطَ"،

---

[1] (المطيطاء): مشية فيها مدّ اليدين والتبختر والخيلاء

[2] حديث صححه محقق الجامع الصغير (٨١٣) وفصّل القول فيه في سلسلة الاحاديث الصحيحة (٩٥٤)... والحديث له شاهد من حديث ابي هريرة اورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣٧) وقال: رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن .

[3] صحيح الجامع برقم ٨٠١ و أخرجه الترمذي (٢٢٦١)، وابن المبارك في ((الزهد)) (٥١/٢)، وأبو نعيم في ((تاريخ أصبهان)) (٣٦٢/١) باختلاف يسير

أي: سَلَّطَ الله عزَّ وجلَّ أو أمَر أنْ يُسلَّطَ "شِرارُها"، أي: شِرارُ الأُمَّة مِن الظَّلَمَةِ والفسَقةِ، على "خِيارِها"، أي: على خِيار الأُمَّة مِن الصَّالحين المتَّقين .

أي : جعل الله حُكمَ الأُمَّةِ بأيدي الظالمين، فيَظلِمونَ الصالحين ويُؤذونَهم، نتيجة للفَسادِ الذي حلَّ بهم .

وفي الحديثِ: بيانٌ لِمُعجِزاتِ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ودلائلِ نُبوَّتِه.

ففيه اشارة الى ان المسلمين سيفتحون بلاد فارس والروم وان أبناء ملوكها سيخدمون المسلمين .

وهذا الحديث جاء والمسلمون قِلَّة وقبائل العرب تتربص بهم ، والفرس والروم كانت امبراطوريتان كبيرتان تسيطران على العالم ، ولا يشكل العرب إلا أقلَّ تابعيهما وأضعفهم.

فكان الحديث يُنبئ بمعجزة يصعب حصولها او تصديقها ، لكنها تحققت ، وفتح الله للمسلمين بلاد فارس والروم وخدمهم أبناءها .

والعرب رُعاة الشاة والإبل الذين صاروا يتفاخرون بالدنيا ويتكبرون ويسيرون بخُيلاء ، فوقع بهم ما حذَّر من وقوعه النبي الصادق الأمين صلّى الله عَليه وسلم.

وفِي الحديث: ذمُّ التَّبختُرِ والكِبْرِ والإعجاب بالنَّفسِ. وفيه: التَّحذيرُ مِن الدُّنيا... والتواضع لله .

۞ فتح بلاد الهند والسند

* عَنْ ثَوْبَانَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

﴿﴿ عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللهُ مِنَ النَّارِ : عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ ﴾﴾ [1]

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ الله عنْهُ ، قَالَ : "وَعَدَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْهِنْدِ فَإِنْ أَدْرَكْتُهَا أُنْفِقْ فِيهَا نَفْسِي ومالي وَإِنْ قُتِلْتُ كُنْتُ أَفْضَلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ رَجَعْتُ فَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْمُحَرَّرُ" [2]

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ الله عنْهُ ، قَالَ حدثني خليلي الصَّادِقُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْثٌ إِلَى السِّنْدِ وَالْهِنْدِ». "فَإِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُ فَاسْتَشْهَدْتُ فَذَلِكَ وَإِنْ أَنَا – فَذَكَرَ كَلِمَةً – رَجَعْتُ وَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْمُحَرَّرُ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنَ النَّارِ" [3]

---

[1] أخرجه أحمد (٥/٢٧٨ ، برقم ٢٢٤٤٩) ، والنسائي (٦/٤٢ ، برقم ٣١٧٥) ، والبيهقي في الكبرى (٩/١٧٦ ، برقم ١٨٣٨١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/٧٢) ، والديلمي (٣/٤٨ ، برقم ٤١٢٤) .

[2] أخرجه أحمد (٢/٢٢٨ ، برقم ٧١٢٨) ، والنَّسائي (٢/٤٦ ، برقم ٣١٧٣).

[3] أخرجه أحمد (برقم ٢٢٤٤٩).

قال الإمام ابن كثير في كتابه "النهاية في الفتن والملاحم" -باب إشارة نبوية إلى أن الجيش المسلم سيصل إلى الهند والسند .

وقد غزا المسلمون الهند في سنة أربع وأربعين في إمارة معاوية بن أبي سفيان

غزوة الهند التي بشرنا بها رسول الله ﷺ تحققت بفتح المسلمين الهند وإقامة الحكم الإسلامي فيها منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي واستمراره إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

والحديث قاله النبي الصادق ﷺ يوم كان المسلمون في ضعف ولم تقوى شوكتهم بعد ، لكنهم كانوا أقوياء بإيمانهم ومحبتهم لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ .

۞ فتنة بين طائفتين من المسلمين

ومن ذلك إخباره ﷺ بوقوع الفتنة بين الإمام علي ومعاوية رضى الله عنهما، روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

﴿﴿ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﴾﴾ [١]

فهذان خبران أخبر بهما رسول الله ﷺ، وقد وقعا كما أخبر، فقد اقتتل عليّ ومعاوية رضي الله عنهما بجيشيهما في صفين، ودعواهما واحدة ، وحين كان يؤذَّن للصلاة كان أذانهما واحد وبوقت واحد ، ويقيمان الجيشان الصلاة بوقت واحد ... فدعواهما واحدة ربما ان الإسلام هو دعوة كل منهما فيكون المراد ان دينهما واحد ، او ان يكون المراد بذلك أنَّ كلًّا منهما تَدَّعِي أنَّها صاحبةُ الحقِّ، وأنَّ خَصمَها مُبطَلٌ .

فكان الأمر كما أخبر فهي آية من آيات نبوّته ﷺ ومعجزته التي على مثلها آمن الكثير .

وأما الخبر الثاني فقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٨٩ برقم ٦٧٠٤ صحيح ابن ماجه رقم: ٣٢٧٨ و صحيح الجامع برقم: ٧٤١٧

خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح التميمية في بني تميم، وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاح أيضا تابت والله أعلم .

وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة، وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم .

ولله العلم سبحانه ان كان سيظهر من يدعي النبوة بعدُ ، أو لا يظهر غير الذين ظهروا .

۞الإقتتال الداخلي

مما رواه مسلم عن عامر بن سعد عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ

﴿﴿ أنه أقبل مع رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال "سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة :سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنَة، فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ﴾﴾ [1]

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ سعدُ بنُ أَبي وَقَّاصٍ: إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم مرَّ بمَسجدٍ مِن بني مُعاويةَ، وهُم منَ الأَنصارِ، فدَخَل فرَكَعَ فصلَّى فيهِ رَكعتينِ وصلَّينا مَعه. وَدعا ربَّه طويلًا، أي: سَألَه ونَاجاهُ، ثُمَّ انصرفَ منَ الدُّعاءِ، فَقال: سَألتُ ودَعوتُ رَبِّي ثلاثًا، أي: ثلاثَ دَعواتٍ، فأَعطاني ثِنتينِ مِن الثَّلاثِ ، ومَنعنِي واحدَةً، وبَيَّن النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم هَذه الدَّعواتِ، فَقال: (سألتُ رَبِّي أن لا يُهلِكَ أُمَّتي بالسَّنةِ)، أي : بالجَدبِ فأَعطانيها واستَجابَ لي ،

---

[1] أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة ، باب: هَلاَك هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ برقم : ٢٨٩٠ و صحيح الجامع برقم : ٣٥٩٣ و احمد ١ / ١٨١

والثَّانيةُ: ألَّا يَهلِكَ أُمَّتي بالغَرقِ، يَعني: لا تَغرقُ الأُمَّة كلُّها كقومِ فِرعونَ في اليمِّ، وقومِ نوحٍ بالطُّوفانِ فأَعطانِيها، والثَّالثةُ هيَ ألَّا يَجعلَ بأسَهم

بَينَهم، أي: حَربَهم الشَّديدةَ فمَنعنِيها .

في رواية أخرى لمسلم أيضاً عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

"إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وإنَّ مُلكَ أمَّتي سيبلغُ ما زُوِي لي منها ، وأُعطيتُ كَنزَيْن : الأحمرَ والأبيضَ ، وإنِّي سألتُ ربِّي عزَّ وجلَّ لأمَّتي أن لا يُهلكَهم بسنةٍ عامَّةٍ ، ولا يسلِّطَ عليهم عدوًّا سواهم فيستبيحَ بيْضتَهم ، وإنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ قال: يا محمَّدُ! إنِّي إذا قضيتُ قضاءً فإنَّه لا يُردُّ ولو اجتمع عليهم من بأقطارِها ، حتَّى يكونَ بعضُهم يسبي بعضًا ، ويملكُ بعضُهم بعضًا ، وحتَّى يكونَ بعضُهم يُفني بعضًا [1]

وقد رأى ابن مسعود أن الفرقة والخلاف أسوأ ما ينزل بهذه الأمة؛ فقد كان يصيح وهو في المجلس -أو على المنبر: ألا أيها الناس، إنه نزل بكم.

إن الله يقول: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحد.

---

[1] أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة ، باب: هَلاَك هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ برقم ٢٨٨٩

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، لو خسف بكم الأرض أهلككم، لم يبق منكم أحد.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث[1]

(قوله : "إني قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ"؛ يعني: إذا حكمتُ بوقوعِ شيءٍ فإنه غير مردودٍ لا محالة .

واعلمْ أنَّ لله تعالى قضى في خلقه قضاءين مبرَمًا ومُعَلَّقًا، وأمَّا القضاءُ المعَلَّقُ فهو عبارةٌ عما قَدَّرَه في الأَزَل مُعَلَّقًا بفِعْل، كما قال: إنْ فَعَلَ الشيءَ الفلانيَّ فكان كذا أو كذا، وإن لم يفعلْه فلا يكونُ كذا وكذا.

وهو من قَبيل ما يتطرَّقُ إليه المحْوُ والإثباتُ، كما قال تعالى في مُحْكَم كتابه ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [2]

وأما القضاء المبْرَمُ؛ فهو عبارةٌ عما قَدَّره سبحانه في الأزل من غير أن يُعَلِّقَه بفعل، فهو في الوقوع نافذٌ غايةَ النَّفاذ، بحيث لا يتغيَّرُ بحالٍ، ولا يتوَّقفُ على المَقضيّ عليه ولا المَقضيِّ له ؛ لأنه من عِلْمِه بما يكون وبما كان، وخلافُ

---

[1] تفسير الطبري (٤١٧/١١)

[2] الرعد: ٣٩

معلومه مستحيلٌ قطعًا، وهذا مِن قَبيلِ ما لا يتطرَّقُ إليه المِحْوُ والإثبات، قال الله عز وجل : و

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [2]،

وقال – ﷺ –: "لا مردَّ لقضائه ، ولا مانعَ لحكمه".[3]

وهذا وقع فلم تزول الأمة بالجدب ولا بالغرق ، أما تسلّط البعض على البعض فهو الكائن والمستشري في الأمة .

---

[1] الرعد: ٤١

[2] ق: ٢٩

[3] كتاب المفاتيح ص ٦ / ٩٦

۞ رسول الله ﷺ يُخبر عن واقعة الجمل

عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :

﴿﴿ إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ ، قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنَا أَشْقَاهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْدُدْهَا إِلَى مَأْمَنِهَا ﴾﴾ [1]

لما وقعت الفتنة بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وانقسم المسلمين لِعِظم المصاب وعظمة الفتنة اجتهد بعض كِبار الصحابة في شأْنها، ورأى كلٌّ منهم الصواب في جهةٍ مُعيَّنة ، وأرادوا بذلك الإصلاح بين الطائفتين المتنازعتين ، ومِن هؤلاء أُمُّ المؤمنين عائشة رضِيَ اللهُ عنها وفريق من صحابة رسول الله ﷺ ؛ وأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكان القصد خيراً من اجتهادهم . وقد أخبر الرسول الصادق بما سيقع وقد صدق ﷺ بما أخبر به وهو الذي لا ينطق عن الهوى .

[1] مسند احمد ٦ / ٣٩٣ برقم ٢٦٦٥٧ والمعجم الكبير (١ / ٣١٤) وكشف الأستار (٤ / ٩٣ـ ٩٤) ومجمع الزوائد (٧ / ٢٣٤) وفتح الباري (١٣ / ٥٥)

۞ الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام في كربلاء

روي عن النبي عدة مرويات أنه أخبر بأن الحُسين سيُقتل، منها أن جبريل أو ملك المطر أخبره بذلك، ومنها أنه رأى رؤيا بذلك، فروى أحمد بن حنبل في مسنده عن أنس بن مالك قال:

﴿﴿ اسْتَأْذَنَ مَلَكُ الْمَطَرِ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِي ﷺ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لأم سلمة رضي الله عنه: «احْفَظِي عَلَيْنَا الْبَابَ لَا يَدْخُلْ أَحَدٌ» فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَوَثَبَ حَتَّى دَخَلَ فَجَعَلَ يَصْعَدُ عَلَى مَنْكِبِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: أَتُحِبُّهُ؟، فقال النبي ﷺ «نَعَمْ» قال: فَإِنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ، قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَرَاهُ تُرَابًا أَحْمَرَ، فأخذت أم سلمة ذَلِكَ التُّرَابَ فَصَرَّتْهُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهَا، قال: فَكُنَّا نَسْمَعُ: يُقْتَلُ بِكَرْبَلَاءَ ﴾﴾[1]

(حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ سعيدٍ، عن أبيهِ، عن عائشةَ، أو أمِّ سلَمةَ –قال وَكيعٌ: شكَّ هو؛ يَعني عبدَ اللهِ بنَ سعيدٍ– أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لإحداهُما: لقد دَخَلَ علَيَّ البيتَ ملَكٌ لم يَدخُلْ علَيَّ قبْلَها، فقال لي: إنَّ ابنَكَ

[1] مسند احمد ١١ / ٢٧٤ برقم ١٣٧٢٧ و احمد مسند أنس بن مالك ٣ / ٣٤٢ برقم ١٣٧٩٦ والبداية والنهاية ١١ / ٥٧٠ برقم ٥٧٠

هذا حُسيْنٌ مقتولٌ، وإن شِئتَ أَريتُكَ مِن تُربةِ الأرضِ التي يُقتَلُ بها. قال: فأَخرَجَ تُربةً حَمراءَ.) [1]

الحسن والحسين رضي الله عنهما ، سيدا شباب أهل الجنة ، وحبهما من الإيمان ، وبغضهما من النفاق ، وقد كانا من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ، والأحاديث الصحيحة في فضلهما وعلو منزلتهما ومكانتهما من رسول الله ﷺ كثيرة مشهورة .

وكان ﷺ يقربهما ويداعبهما ويقبلهما .

روى مسلم (٢٣١٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : " أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ ، فَقَالَ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ) " .

وروى أحمد (٩٦٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : " خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ هَذَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهَذَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهُوَ يَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً ، وهَذَا مَرَّةً - يعني يقبّل - حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ تُحِبُّهُمَا، فَقَالَ : (مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي) " وحسنه محققو المسند.

---

[1] مسند احمد برقم ٢٦٥٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ٨ / ١١٦

وقد قدَّر الله على سيدنا الحسين ﵁ أن يموت شهيداً وكان أمر الله مفعولاً ، وقد ابْتُلِيَ صلّى الله عليه وسلم في أولادِه، وفي أحفادِه، وأعلمه اللهُ بذلك بالوحي، وفي هذا الحَديثِ جانبٌ من ذلك ؛ ففيه بيان مقتل الحسين رضي اللهُ عنه وقد صَدَقَ رسول الله ﷺ في ذلك .

أحاديث مُتَنَظَرَة الوقوع

تحدث رسول الله ﷺ عن أحداث ستقع، وهي واقِعَةٌ ان شاء الله ،

ذكرها رسول الله ﷺ ليتعظ من كان له قلب ومن ألقى السمع فهو شهيد

وليتدبر ويحذر من كان له عقل .

وسنورد بعض هذه الأحاديث:

۞ تلد الأمة ربتها

في حديث جبريل المعروف عندما سأل النبيَّ ﷺ عن الساعة وقال:

﴿﴿ أخبرني عن أمارتها. فقال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ﴾﴾

اختلف العلماء في تفسير هذه العلامة ومن هذه التفسيرات : قال الإمام النووي «أن تلد الأمة ربتها» وفي الرواية الأخرى: " ربها " على التذكير، وفي الأخرى " بعلها " قال يعني السراري، ومعنى ربها وربتها: سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها».

والأمة: هي المرأة المملوكة بملك اليمين، والتي أخذت في أسارى الحرب من الميدان في المعركة؛ لأنه لا إماء إلا بقتال، أو متولدةً من أمة، وما عدا ذلك فلا رق في الإسلام.

(وفي رواية أبي هريرة : "المرأة"، وهذا يشمل الحرة والعبدة)[1]

---

[1] كتاب صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٣٨٢

۞ يحسر الفرات عن جبل من ذهب

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

﴿﴿ لا تقوم الساعة حتى يُحْسَر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، فيقول كل رجل منهم : لعلي أكون أنا أنجو ﴾﴾[1]

۞ عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ «لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا ﴾﴾[2]

[1] مسلم في كتاب الفتن (برقم ٢٨٩٤) باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب و البخاري في صحيحه في كتاب الفتن (٨ / ١٠٠) باب خروج النار
وفي رواية قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً . نفس المراجع السابقة ، ورواه أيضاً أبو داود (برقم ٤٣١٣) والترمذي (برقم ٢٥٧٢)

[2] رواه مسلم ٣ / ٨٤ وأحمد ٢ / ٣٧٠ و٤١٧ والحاكم ٤ / ٤٧٧ من حديث أبي هريرة .

۞ خسف البيداء

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : ﴿﴿ يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قالت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ، ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم ﴾﴾ [1]

في آخر الزمان يغزو قوم الكعبة، جيش عظيم.

وقوله: «حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ»؛ أي: بأرضٍ واسعة مُتَّسعة، «خَسَفَ اللهُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»؛ خُسِفَت بهم الأرض، وساخوا فيها هم وأسواقهم، وكُلُّ مَن معهم.

وفي هذا دليل على أنهم جيش عظيم؛ لأن معهم أسواقهم؛ للبيع والشراء وغير ذلك؛ فَيَخْسِفُ الله بأولهم وآخرهم.

لَمَّا قال الرسول ﷺ هذا، ورَدَ على خاطر عائشة رضي الله عنها سؤال، فقالت: يا رسول الله، كيف يُخْسَف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومَن ليس منهم؟»؛ أسوأقهم: الذين جاؤوا للبيع والشراء، ليس لهم قصدٌ سيئ في غزو الكعبة، وفيهم أُنَاس ليسوا منهم؛ تبعوهم من غير أن يعلموا بِخُطَّتِهِم، فقال الرسول ﷺ:

---

[1] أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤) باختلاف يسير

«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»؛ كُلٌّ له ما نوى.

هذا فَرْدٌ من أفراد قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى».

ظهور المهدي

عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قال :

﴿ لو لم يبقَ منَ الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّلَ اللَّهُ ذلِكَ اليومَ حتَّى يَبعث فيهِ رجلًا منِّي – أو من أَهْلِ بيتي – يواطئُ اسمُهُ اسمي ، واسمُ أبيهِ اسمُ أبي يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا ، كما ملئت ظُلماً وجَوراً .

وفي لفظٍ لا تذهبُ – أو لا تَنقضي – الدُّنيا حتَّى يملِكَ العربَ رجلٌ من أَهْلِ بيتي ، يواطئُ اسمُهُ اسمي ﴾[1]

كما أورد ابو داود من حديثٍ رواه الإمام علي عن رسول الله ﷺ وصححه الألباني :

[1] أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) واللفظ له، والترمذي (٢٢٣١) مختصراً

(لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أخل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئَت جوراً) [1]

۞ الملحمة الكبرى

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

﴿ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعْماقِ، أوْ بدابِقٍ [2]، فَيَخْرُجُ إليهِم جَيْشٌ مِنَ المدِينَةِ، مِن خِيارِ أهْلِ الأرْضِ يَومَئذٍ، فإذا تَصافُّوا، قالتِ الرُّومُ: خَلُّوا بيْنَنا وبيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقاتِلْهُمْ، فيَقولُ المسْلِمُونَ: لا، واللَّهِ لا نُخَلِّي بيْنَكُمْ وبيْنَ إخْوانِنا، فيُقاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللَّهُ عليهم أبَدًا، ويُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أفْضَلُ الشُّهَداءِ عِنْدَ اللهِ، ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أبَدًا [3] فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنائِمَ، قدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بالزَّيْتُونِ، إذْ صاحَ فِيهِمِ الشَّيْطانُ: إنَّ المسِيحَ [4] قدْ خَلَفَكُمْ في أهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وذلكَ باطِلٌ، فإذا جاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبيْنَما هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إذْ أُقِيمَتِ

---

[1] ابو داود (٤٢٨٣) و الجامع الصغير ١ / ٩٤٤

[2] الأعماقُ ودَابقٌ مَوضعانِ بِالشَّامِ بِالقُربِ مِن حَلَبٍ

[3] لا يُفتَنونَ، أي: لا يُبتلَوْنَ بِبليَّةٍ، أو لا يُمتحنونَ بِمقاتَلةٍ، أو لا يُعذَّبون أبدًا، فَفيه إشارةٌ إلى حُسنِ خَاتمتِهم

[4] المرادُ بِالمسيحِ هَاهنا الدَّجَّالُ

الصَّلاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأمَّهُمْ، فإذا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذابَ كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماءِ، فلوْ تَرَكَهُ لانْذابَ حتَّى يَهْلِكَ، ولَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بيَدِهِ، فيُرِيهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ »[1]

وحديث النبي ﷺ عن دابق وهي قرية بشمال حلب وكثير من أهل حلب لم يسمعوا بها

في هذا العصر، على الرغم من التكنلوجيا والمعلومات، فكيف بالنبي مُحَّد صلى الله عليه

وسلم قبل ١٤٠٠ سنة، وهو الذي لم يأتي إلى حلب في حياته، ان يتحدث عنها او

يذكرها بالاسم ؟ حتى أن النبي ﷺ وصف هذه المنطقة في حديث بسنن أبي داود بسند صحيح قال : ''مرج ذي تلول''، يعني شيء منبسط ولكن فيه تلول أي تلال جمع تل .

---

[1] صحيح مسلم برقم ٢٨٩٧ من طريق سليمان بن بلال ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

۞ فتح القسطنطينية وورومية وخروج الدجال

في الحديث الصحيح عن أبي قبيل قال:

﴿ كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبدالله بصندوق له حلق قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: ((مدينة هرقل تفتح أولاً يعني القسطنطينية ﴾[١]

الحديث الثاني :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا ، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ ، قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا الَّذِي فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ .

---

[١] رواه أحمد (١٧٦/٢) (٦٦٤٥)، والدارمي (١٣٧/١)، والحاكم (٤٦٨/٤). من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٤): وهو كما قالا.

فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ . ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ . فَيُفَرَّجُ لَهُمْ ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ ، فَقَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ ﴾﴾ [١]

۞ نزول عيسى بن مريم وقتله للدجال

﴿﴿ والَّذي نفسي بيدِه ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكمًا مقسطًا فيَكسرُ الصَّليبَ ويقتلُ الخنزيرَ ويضعُ الجزيةَ ويفيضُ المالُ حتَّى لا يقبلَه أحدٌ ﴾﴾[٢]

(لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلونَ على الحقِّ ، ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ ، فيَنْزِلُ عيسى ابنُ مريمَ ، فيقولُ أميرُهم : تَعَالَ صَلِّ لنا ، فيقولُ : لا ، إنَّ بعضَكم على بعضٍ أميرٌ ،

تَكْرِمَةُ اللهِ لهذه الأُمَّةِ) [٣]

---

[١] رواه مسلم في " صحيحه " برقم (٢٩٢٠)

[٢] أخرجه البخاري (٢٢٢٢) واللفظ له، ومسلم (١٥٥) والترمذي (٢٢٣٣)

[٣] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ١٣٧/١ وأحمد (١٤٧٢٠) واللفظ له و صحيح الجامع برقم ٧٢٩٣

۞ قتال عيسى لليهود

اليهود قوم غدرٍ مجبولين على الخيانة والخُبث ، فلا أمان لهم ، حتى ان رسول الله ﷺ الظاهر الرحمة الكريم الخُلُق غدروا به ووصل الأمر الى محاولتهم قتله ، وتحريض الناس على حربه ، مما اضطر رسول الرحمة ﷺ لقتالهم وإجلائهم .

وذاك الطبع فيهم لم يتغير ... وسيظلون يحاولوا ان يُطفِئوا نور الله ، والله مُتِمُّ نوره وخاذِلهُم .

فكان منطقياً ان يحدث الصِدامُ بين المسلمين وبينهم ... وذاك ما ذكره رسول الله ﷺ وأخبرنا بوقوعه .

ففي الحديث الذي رواه الشيخان ان رسول الله ﷺ قال من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سَمِع رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ :

﴿﴿ تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ : يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ ﴾﴾ [1]

وأورد مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ

[1] البخاري (٣٥٩٣) ، ومسلم (٢٩٢١)

الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)[1]

وقد جاء في بعض الروايات ما يدل على أن قتال اليهود المذكور في هذا الحديث سيكون في آخر الزمان حين يخرج الدجال وينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فيقتله .

روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

(يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّ قَنَاةَ (واد في المدينة) ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ ، فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوِ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ : هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ)[2]

وقال ابن الملقن : " المراد بقوله (تقاتلون اليهود) إذا نزل عيسى ، فإن المسلمين معه ،

---

[1] صحيح مسلم (٢٩٢٢)

[2] رواه الإمام أحمد في " المسند " (٩/٢٥٥) و فتح الباري (٦/٦١٠)

واليهود مع الدجال" [1]

وهو ما جزم به جمع من شراح الحديث ، بل أخرج الإمام الترمذي (٢٢٣٦) حديث

عبد الله بن عمر السابق في باب (علامة الدجال) .

وإذا خرج الدجال تبعه عشرات الآلاف من اليهود واجتمعوا معه يريدون قتال المسلمين ، فينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويجتمع معه المسلمون لقتال الدجال وأتباعه ، فيدعو عيسى ابن مريم اليهود للإسلام ، ولا يقبل منهم في ذلك الوقت إلا الإسلام ، فيسلم منهم من يسلم ، ويبقى منهم من يبقى على يهوديته ، فتكون المعركة التي ذكرها النبي ﷺ .

وبهذا يتبين أن المعركة من جانب المسلمين معركة عادلة مشروعة يحبها الله تعالى بلا شك ، ومما يدل على ذلك :

- أنها ضد الدجال ومؤيديه الذين اجتمعوا لقتال المسلمين : (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [2]

---

[1] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦٦٣/١٧)

[2] التوبة/٣٢

– ولأنها معركة يخوضها المسلمون تحت قيادة عيسى بن مريم عليه السلام أحد الرسل الكرام .

– أن الله تعالى يكرم المسلمين في هذه المعركة بهذه الكرامة وهي نطق الحجر والشجر ومناداته على المسلم حتى يقتل اليهودي الذي يختبئ وراءه .

۞ خروج يأجوج ومأجوج

من حديث النواس بن سمعان ﷺ قال:

﴿ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذلكَ فِينَا، فَقالَ: ما شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي علَيْكُم، إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتي علَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إنَّه شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ، فمَن أَدْرَكَهُ مِنكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وَما لَبْثُهُ في الأرْضِ؟ قالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَومٍ؟ قالَ: لَا، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وَما إِسْرَاعُهُ

فِي الأَرْضِ؟ قالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي علَى القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فيُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَجِيبُونَ له، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ ما كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عنهمْ، فيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ليسَ بأَيْدِيهِمْ شيءٌ مِن أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بالخَرِبَةِ، فيَقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ منه، فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بدَرَجَاتِهِمْ في الجَنَّةِ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إلى عِيسَى: إِنِّي قدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ علَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيَقولونَ: لقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حتَّى يَكونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِن مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَومَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فيُرْسِلُ اللَّهُ عليهمُ النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ، فيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأَرْضِ، فلا يَجِدُونَ في الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى

اللهِ، فيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأرْضَ حتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ ﴾﴾ [1]

خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه

عن أبي هريرة رَضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال :

﴿﴿ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ ﴾﴾ [2]

ذكر العلماء انه لم يخرج وغاية ما ورد فيه انه يخرج قبل قيام الساعة ويملك ويحكم بدلالة انسياق الناس له حيث يسوقهم بعصاه .

وهو حديث من أعلام النبوة .

قال القرطبي في قوله يسوقُ الناس بعصاهُ (أي إنه يدل على استقامة الناسِ ، وانعِقادهم إليه، وتماسكهم واتفاقهم عليه، ولم يُرد نفس العصا، ولكنه ضرب بها

[1] صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم ٢٩٣٧ واللفظ له وصحيح ابن ماجة برقم ٣٣١٠

[2] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٢٥٦) وبوّب له باب ذكر قحطان وساق الحديث بسنده عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وأخرجه ايضا في باب تغير الزمان حتى تعبد الاوثان برقم (٦٥٨٤) ، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٥١٨٢) وأحمد في مسنده (٩٠٣٧)

مثلاً لطاعتهم له، واستيلائهُ عليهم، غير أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم، وعنفهُ بهم)

وقَحْطانَ، هي قَبيلةٌ منَ القَبائلِ العَربيَّةِ المشهورَةِ، «يَسوقُ النَّاسَ بعَصاه»، وهو كِنايةٌ عنِ المِلكِ وقوَّةِ سُلطانِه، أي : يَتسلَّطُ على النَّاسِ ويُسخِّرُهم كما يَسوقُ الرَّاعي الغَنَمَ.

ومال القرطبي إلي ان القحطاني ربما يكون هو الجهجاه الذي ورد ذكره في صحيح مسلم

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه [1]

قال القرطبي: واصل الجهجاه الصياح وهي صفة تناسب ذكر العصا ورد عليه ابن حجر:

(بأن الجهجاه من الموالي وقحطان من الاحرار)

وهذا الحَديث يَدخل في علامات النُّبوَّةِ، ومن جملة ما أخبَرَ به النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قبل وقوعه، ولم يقَعْ بَعدُ.

---

[1] صحيح مسلم برقم (٥١٨٣)

۞ رفع القرآن من المصاحف والصدور

عَنْ عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :

﴿﴿ لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ وَلا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إلا رُفِعَتْ ﴾﴾[1]

وأخرج الدارمي أيضًا برقم ٣٢٠٧ بإسناد حسن لغيره : عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ :

(أَكْثِرُوا تِلاوَةَ الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، قَالُوا : هَذِهِ الْمَصَاحِفُ تُرْفَعُ ، فَكَيْفَ بِمَا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ ؟ قَالَ : يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلا فَيُصْبِحُونَ مِنْهُ فُقَرَاءَ ، وَيَنْسَوْنَ قَوْلَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَيَقَعُونَ فِي قَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَشْعَارِهِمْ ، وَذَلِكَ حِينَ يَقَعُ عَلَيْهِمْ الْقَوْلُ "

والمراد بالقول : ما جاء في الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجنا لَهُمْ دَابَةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآياتِنَا لا يُوْقِنُون ﴾ [2]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

---

[1] أخرجه الدارمي بسند صحيح برقم ٣٢٠٩

[2] النمل / ٨٢

(هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض ، قيل من مكة وقيل من غيرها .. فتكلم الناس على ذلك ؛ قال ابن عباس والحسن وقتادة – ويروى عن علي بن أبي طالب – ﷺ : " تكلمهم كلاماً " أي تخاطبهم مخاطبة ، وقال عطاء الخراساني – ويروى عن علي واختاره ابن جرير –: " تكلمهم فتقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " وفي هذا القول نظر لا يخفى والله اعلم ، وقال ابن عباس في رواية : " تجرحهم " وعنه رواية قال : " كُلاً تفعل " يعنى هذا وهذا ، وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم) [1]

ومما جاء أيضاً في رفع القرآن آخر الزمان ما رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٨٦٩٨ عن ابن مسعود ﷺ قال :

" لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآن من بين أظهركم ، قيل له : يا أبا عبد الرحمن : كيف يُنتزع وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا ؟ قال : يُسْرَى عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد ولا مصحف منه شيء ، ويصبح الناس كالبهائم " ثم قرأ قول الله تعالى :

[1] تفسير القرآن العظيم (٣ / ٣٧٥ – ٣٧٨)

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلً [1] ﴾)[2]

عودة بعض قبائل العرب لعبادة الأصنام

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ:

﴿﴿ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَولَ ذِي الخَلَصَةِ ﴾﴾ [3]

وَذُو الخَلَصَةِ : طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية..

في هذا الحديث إشارة إلى ما سيحدث من الردة والرجوع إلى عبادة الأصنام .

وقوله ﷺ : (تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ) هذه العبارة بيّن أهل العلم أنها تشير إلى عبادة هؤلاء النساء لهذا الصنم ، والطواف حوله ؛ فاضطراب الألية كناية عن السعي والحركة حول هذا الصنم .

قال النووي رحمه الله تعالى :

---

[1] الإسراء / ٨٦

[2] قال ابن حجر في فتح الباري (١٣ /١٦) : سنده صحيح ولكنه موقوف . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٣٢٩) : رجاله رجال الصحيح ، غير شداد بن معقل وهو ثقة .
وصححه الألباني

[3] البخاري : الفتن (٧١١٦) , ومسلم : الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦) , وأحمد (٢/٢٧١).

" أما قوله (أَلَيَاتُ) فبفتح الهمزة واللام ، ومعناه أعجازهن ، جمع ألية ، والمراد يضطربن من الطواف حول ذي الخلصة ، أي : يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام " [1]

وهذا الذي نص عليه الكثير من شراح الحديث .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

" ويحتمل أن يكون المراد أنهن يتزاحمن ، بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى عند الطواف حول الصنم المذكور .

فالحاصل ؛ أن المقصود بهذا العبارة هو بيان عبادتهن لهذا الصنم ، وحرصهن على الطواف والسعي حوله ، وتزاحمهن على ذلك المنكر العظيم .

ترك الحج لبيت الله الحرام

عن أَبِي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ، عن النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قال :

﴿﴿ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ ﴾﴾ [2]

---

[1] شرح صحيح مسلم " (١٨ / ٣٣)

[2] أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٤ / ٤٥٣)؛ وقال " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " وأخرجه ابن حبان في "الصحيح" (١٥ / ١٥١)

۞ هدم الكعبة على يدي رجل من الحبشة

جاءت الأحاديث عن المصطفى ﷺ في بيان حال الكعبة في آخر الزمان وهذه بعض نصوصها :

١ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ أَبَا قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ [١]

٢ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ . [٢]

ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ : تَثْنِيَة سُوَيْقَة وَهِيَ تَصْغِير سَاق أَيْ لَهُ سَاقَانِ دَقِيقَانِ .

٣ - عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ [٣] يَنْقُضُهَا حَجَرًا حَجَرًا . يَعْنِي الْكَعْبَةَ . [١]

---

[١] رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١) ، والحاكم في المستدرك (٤/٤٥٢) وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (٢/١٢٠ ح ٥٧٩) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيحين غير سعيد بن سِمعان وهو ثقة .

وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه لمسند الإمام أحمد (١٣/١٩٠ ح ٧٩١٠) : إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن سِمعان

[٢] رواه البخاري (١٥٩١ ، ١٥٩٦) ، ومسلم (٢٩٠٩) .

[٣] أفحج : قال ابن الأثير في النهاية (٣/٤١٥) : الفحج تباعد ما بين الفخذين .

٤ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ [٢] ، أُفَيْدِعَ [٣] يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ [٤]

إيــرادٌ :

هل هناك نعارض بين قوله تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا " العنكبوت : ٦٧

، وبين الأحاديث الآنفة الذكر ؟

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٦١/٣) :

---

[١] رواه البخاري (١٥٩٥) .

[٢] أصيلع : قال ابن الأثير في غريب الحديث (٤٧/٣) : تصغير أصلع ، وهو الذي انحسر الشعر عن رأسه .

[٣] أُفيدع : قال ابن الأثير في غريب الحديث (٤٢٠/٣) : تصغير أفدع ، والفدع بالتحريك زيغ بين القدم وبين عظم الساق ، وكذلك يكون في اليد ، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها .

[٤] رواه أحمد (٢٢٠/٢) (٧٠٥٣). وقال ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (ص١٨٧): وهذا إسناد جيد قوي

قِيلَ : هَذَا الْحَدِيث يُخَالِف قَوْله تَعَالَى : " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا " ، وَلِأَنَّ اللَّه حَبَسَ عَنْ مَكَّة الْفِيل وَلَمْ يُمَكِّن أَصْحَابه مِنْ تَخْرِيب الْكَعْبَة وَلَمْ تَكُنْ إِذْ ذَاكَ قِبْلَة , فَكَيْفَ يُسَلِّط عَلَيْهَا الْحَبَشَة بَعْدَ أَنْ صَارَتْ قِبْلَة لِلْمُسْلِمِينَ ؟

وَأُجِيبَ بِأَنَّ ذَلِكَ مَحْمُول عَلَى أَنَّهُ يَقَع فِي آخِر الزَّمَان قُرْب قِيَام السَّاعَة حَيْثُ لَا يَبْقَى فِي الْأَرْض أَحَد يَقُول اللَّهُ اللَّهُ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلِم " لَا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى لَا يُقَال فِي الْأَرْض اللَّهُ اللَّهُ " وَلِهَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَة سَعِيد بْن سَمْعَان " لَا يَعْمُر بَعْده أَبَدًا " وَقَدْ وَقَعَ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِ مِنْ الْقِتَال وَغَزْو أَهْل الشَّامّ لَهُ فِي زَمَن يَزِيد بْن مُعَاوِيَة ثُمَّ مِنْ بَعْده فِي وَقَائِع كَثِيرَة مِنْ أَعْظَمهَا وَقْعَة الْقَرَامِطَة بَعْدَ الثَّلَاثمِائَةِ فَقَتَلُوا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَطَاف مَنْ لَا يُحْصَى كَثْرَة وَقَلَعُوا الْحَجَر الْأَسْوَد فَحَوَّلُوهُ إِلَى بِلَادهمْ ثُمَّ أَعَادُوهُ بَعْدَ مُدَّة طَوِيلَة , ثُمَّ غُزِيَ مِرَارًا بَعْدَ ذَلِكَ , كُلّ ذَلِكَ لَا يُعَارِض قَوْله تَعَالَى : " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا " لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مُطَابِق لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَلَنْ يَسْتَحِلّ هَذَا الْبَيْت إِلَّا أَهْله " , فَوَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَهُوَ مِنْ عَلَامَات نُبُوَّته , وَلَيْسَ فِي الْآيَة مَا يَدُلّ عَلَى اِسْتِمْرَار الْأَمْن الْمَذْكُور فِيهَا .

وَاللَّه أَعْلَم

۞ طلوع الشمس من مغربها

عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال ﴿﴿ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ فَرَآها النَّاسُ آمَنُوا أجْمَعُونَ، فَذلكَ حِينَ: ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [1]، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما بيْنَهُما، فلا يَتبايَعانِهِ ولا يَطْوِيانِهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيطُ حَوْضَهُ، فلا يَسْقِي فِيهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقدْ رَفَعَ أحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إلى فِيهِ، فلا يَطْعَمُها. ﴾﴾ [2]

۞ خروج دابة الأرض

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُون ﴾ [3]

---

[1] الأنعام: ١٥٨

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري باب طلوع الشمس من مغربها ١٣ / ١٢٦ برقم ٦٥٠٥

[3] النمل:٨٢

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾﴾ [1]

۞ ثلاثة خسوف بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب

قال رسولُ الله ﷺ : "لا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ:

﴿﴿ طُلُوعُ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَالدّابّةُ وَثَلاَثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٍ بالمِشْرِقِ وَخَسْفٍ بالمغْرِبِ وَخَسْفٍ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ النّاسَ أَوْ تَحْشُرُ النّاسَ فَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ﴾﴾[2]

۞ كلام البشر مع السباع

عن أبي سعيد الخدري (رضى الله عنه) أن النبي ﷺ قال: ﴿﴿والَّذي نفسي بيدِه

---

[1] صحيح مسلم (١٥٨) و صحيح الجامع برقم (٣٠٢٣)وأخرجه الترمذي في "كتاب التفسير " " باب ومن سورة الأنعام" حديث (٣٠٧٢)

[2] سنن الترمذي » كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ » باب ما جاء في الخسف ٤ / ٤١٥ برقم ٢١٨٣

، لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يُكلِّمَ السِّباعُ الإنسَ ، ويُكلِّمُ الرَّجلُ عذَبَةَ سوطِه ، وشِراكَ نعلِه ، ويُخبِرُه فخِذُه بما حدَّث أهلُه بعدَه ﴾﴾ [1]

۞ عودة البركة ورجوع الخير

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :

﴿﴿ طوبى لعيش بعد المسيح ، طوبى لعيش بعد المسيح ، يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات ، فلو بذرت حبك على الصفا لنبت ، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض ، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره ، ويطأ على الحية ولا تضره ، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض ﴾﴾ صححه الألباني في " الصحيحة " (١٩٢٦) .

وروى البخاري (٣٤٤٨) ، ومسلم (١٥٥) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) .

---

[1] صحيح الترمذي ٢١٨٣ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٢ وتفسير ابن كثير ٢ / ٢٦٨

المصادر

القران الكريم

البداية والنهاية : الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر
ابن كثير القرشي الدمشقي
تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن الترك
هجر للطباعة والنشر – مصر ١٩٩٧ م

التاج الجامع للأصول : الشيخ منصور علي ناصف

دار الفكر بيروت ١٩٨٦ م ط ١

تاريخ الطبري : محمد ابن جرير الطبري

دار الكتب العلمية . بيروت ط١

الترغيب والترهيب: عبد العظيم ابن عبد القوي ألمنذري
تحقيق: إبراهيم شمس الدين
دار الكتب العلمية . بيروت ط١ ١٤١٧

تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)   أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

تحقيق : مُحَمَّد حسين شمس الدين

دار الكتب العلمية – بيروت   ط ١   ١٤١٩ هـ

الجامع لأحكام القرآن (المشهور بتفسير القرطبي) :

أبو عبد الله مُحَمَّد بن احمد الأنصاري القرطبي

دار إحياء التراث العربي . بيروت

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة   أمين بن عبد الله الشقاوي

مكتبة الملك فهد الوطنية السعودية ٢٠٠٩ م

سنن ابن ماجة : مُحَمَّد بن يزيد ابو عبد الله القزويني

دار الفكر – بيروت

تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي

سنن ابي داود : سليمان ابن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي

دار الفكر . بيروت

تحقيق: مُحَّد محي الدين عبد الحميد

سنن البيهقي الكبرى : احمد ابن الحسين ابن علي ابن موسى

أبو بكر البيهقي

تحقيق: مُحَّد عبد القادر عطا

مكتبة ابن ألباز مكة المكرمة ١٩٩٤م

سنن الترمذي : مُحَّد ابن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي

تحقيق: احمد مُحَّد شاكر

دار إحياء التراث العربي . بيروت

سنن النسائي : ابو عبد الرحمن احمد شعيب النسائي

تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة

دار المطبوعات الإسلامية حلب ط٢

السيرة النبوية   ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو القرشي البصروي ثم الدمشقي

تحقيق: مصطفى عبد الواحد

دار المعرفة بيروت – لبنان   ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م

سيرة عمر بن الخطاب   أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الجوزي

تحقيق طاهر النعمان الحموي و احمد قدري كيلاني

المكتبة التجارية الكبرى مصر

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ   القاضي عياض

تحقيق عبد الله مُحَمَّد الخليلي

دار الكتاب العربي ٢٠١٠ م

صحيح ابن حبان: مُحَمَّد ابن حبان احمد التيمي البستي
تحقيق: شعيب الأرنؤوط
مؤسسة الرسالة بيروت ط٢

صحيح البخاري : مُحَمَّد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري
تحقيق: د. مصطفى ديب البغا
دار ابن كثير بيروت ط٣

صحيح الترغيب والترهيب مُحَمَّد ناصر الدين الألباني
مكتَبة المِعارف الرياض ط ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

صحيح مسلم : مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري
دار إحياء التراث العربي . بيروت
تحقيق: د. مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي

ضعيف الترغيب والترهيب   مُحَمَّد ناصر الدين الألباني

مكتبة المعارف – الرياض ط ١ ١٤٢١هـ

ضوع الطيب من سيرة الحبيب   عدنان أحمد ياسين الفلاحي

ديوان الوقف السني – بغداد ط ١ ٢٠١٧م

الطبقات الكبرى   ابن سعد

دار صادر بيروت

عمر بن الخطاب شخصيته وعصره   د علي مُحَمَّد الصلابي

دار ابن كثير بيروت ٢٠٠٣ م

فتح الباري : احمد ابن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني

تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب

دار المعرفة بيروت ١٣٧٩

كتاب المفاتيح في شرح المصابيح مظهر الدين الزَّيْداني الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمظْهِري

تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب

دار النوادر – الكويت ط ١ ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

كشف الأستار عن زوائد البزار علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي

مؤسسة الرسالة ١٣٩٩ - ١٩٧٩

مجمع الزوائد : علي ابن أبي بكر الهيثمي

دار الريان للتراث / دار الكتاب العربي

القاهرة / بيروت ١٤٠٧

المستدرك على الصحيحين : محمد ابن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية . بيروت ط١

مسند الامام احمد : أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال

بن أسد الشيباني

تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون

مؤسسة الرسالة ط ١ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو مُحَمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن

الفضل الدارمي التميمي السمرقندي

تحقيق: حسين سليم أسد الداراني

دار المغني – السعودية ط ١ ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م

مسند الفردوس وهو الفردوس بمأثور الخطاب أبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي

تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول

دار الكتب العلمية ٢٠١٠ م

مؤسسة قرطبة ـ مصر

المجموع الثمين لفتاوى العيدين لابن عثيمين   د أحمد مصطفى متولي

مكتبة عين الجامعة - السعودية

النهاية في غريب الحديث والأثر   مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشيباني الجزري ابن الأثير

تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود مُحَمَّد الطناحي

المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الفهرست